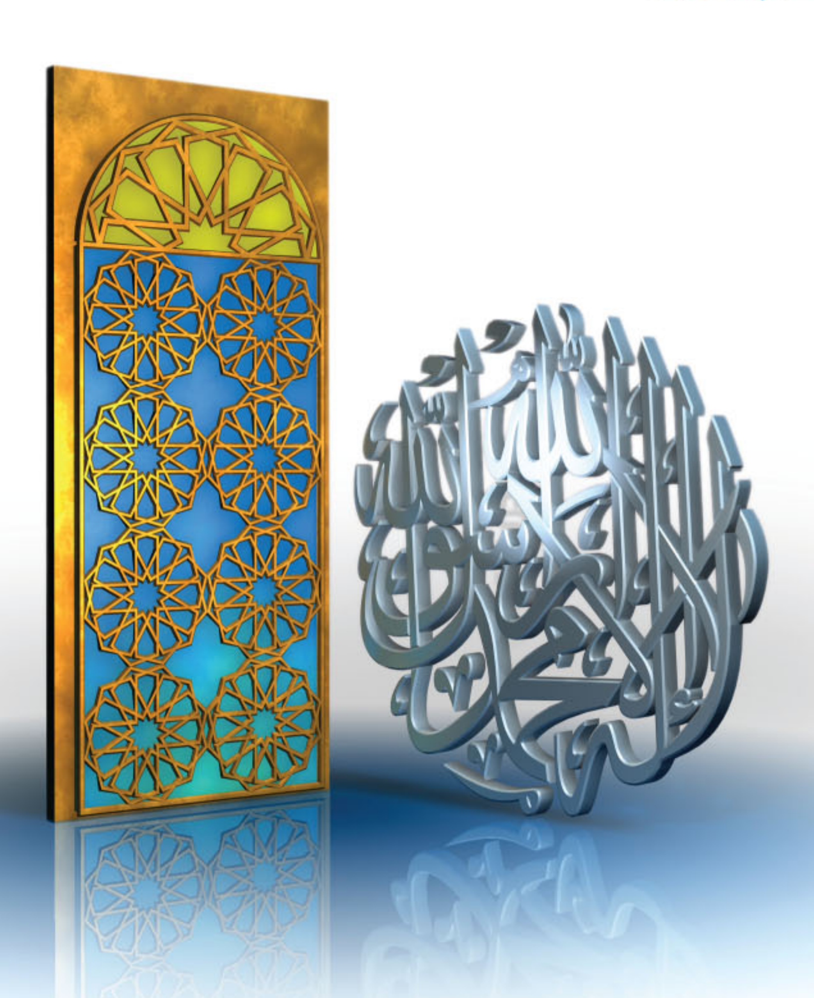
سلسلة المعارف الإسلاميّة



دراسات في







الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org



دراسات في المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب : دراسات في المذاهب الإسلامية

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نشـر : جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الطبعة الأولى - كانون الثاني ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

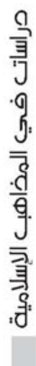


بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

سلسلة المعارف الإسلامية

دراسات في المذاهب الإسلامية

مركز نون للتأليف والترجمة


دراسات في المذاهب الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة

الحمـد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علـى سيّد الخلق محمّد بن عبد الله وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

كان النـاسـ متفرّقيـن فبعـث الله نبيّه محمّـداً فوحّدهم على دين الحـقّ، وكانوا مشتّتيـن فجمعهـم على صراط الهدى، ولـم يزل فيهم يدعوهم إلـى سبيل الرشاد، ويُنقـذ مَن ضلّ من العباد، حتّى أعلـى الله كلمته وهي العليا، وثبّت دينه وهو الثابت، واختـار سبحانـه وتعالى لنبيّه أنْ يُسكنـه فسيح جنانه، ويُبلّغه رضوانـه، فدعاه إليه بعـد أن بلّغ رسالته، وأكمل الله دينه، وأتمّ نعمته، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[١].

لكن شُقّت عصا الوحدة، وانفصمت العروة، فصار لكلّ جماعة مذهباً، ولكلّ ثلّة ملّة، وتفرّقوا في الأصقاع، وكلٌّ يجعل القرآن مرجعاً وحكماً، والنبيَّ ﷺ سنداً وعضداً، وأخذت تكثر الآراء، وتتشعّب المعتقدات. فكثُرت المذاهب، وتعدّدت الملل، وكلٌّ يجتمع تحت لواء الإسلام ويفخر به، ويقرأ القرآن وينهل منه، وما زال الكثير من هذه الفِرَق إلى يومنا الحاضر، وما انقرض منها ما زال هو المنشأ لكثيرٍ من الحاضر.

وقد نبّأنا رسول الله ﷺ بانقسام المسلمين كما روي عنه ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنّة وهي**

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

الّتي اتبعت وصيّه، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون فرقـة فـي النـار وفرقة واحدة في الجنّة وهي الّتي اتبعت وصـيّه، وسـتفترق أمّتي على ثلاث وسـبعين فرقة اثنتان وسـبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة وهي الّتي اتّبعت وصيّي...»[1].

فلذلك كان لا بُدّ من إطلالة على أهمّ الفرق والمذاهب الإسلاميّة سيّما المعاشة والحاضرة على الساحة اليوم. ولم نتعرّض لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وذلك لأنّنا سوف نتعرّض له في كتاب مستقلّ يتناول كلّ جوانبه وأبعاده، ونعتبر هذا الكتاب الماثل بين يدي القارئ متناوِلاً لأهمّ المذاهب غير مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما قام به مركز نون للتأليف والترجمة في جمعيّة المعارف الإسلاميّة، حيث ألقى الضوء على أهمّ هذه المذاهب والفِرَق، تأسيساً ومعتقدات وشخصيّات.

والمركز يأمل أنْ يكون قد سدّ بهذا الكتاب ثغرة من ثغور الحاجات الكثيرة على الساحة الإسلاميّة، آملاً أنْ يحظى بإعجاب القرّاء الكرام، وننال به رضى الله تعالى وقبول الإمام عجل الله فرجه، والله وليّ التوفيق والإكرام.

مركز نون للتأليف والترجمة

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٨، ص١٣.



الدرس الأوّل

تكوّن الفرق والمذاهب



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى علم الملل والنِّحل وبعض المصنّفات فيه.

٢. أن يتعرّف إلى علل تكوّن الفرِق.



١ـ الملّة والنِّحلة في اللغة

الملّـة بمعنـى الطريقة المقتبسة من الغيـر، يقول سبحانه: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾[١].

وأمّـا النِّحلة فهـي بمعنى الدعوى والديـن، ولكن تُستعمل كثيـراً في الباطل، يُقال: انتحال المبطلين. وفي المصطلح: المناهج العقائديّة لأمّة خاصّة أو جميع الأمم، سواء كانت حقّاً أم باطلاً[٢].

٢- الصلة بين علم العقائد وعلم الملل والنحل

إنّ علم الـكلام يبحث عن المسائل العقائديّة الّتي ترجع إلى المبدأ والمعاد، ويوجِّه عنايته إلى إثبات فكرة خاصّة في موضوع معيّن، ولكنّ علم الملل والنِّحل يسرد المناهج الكلاميّة وعقائد الأقوام دون أنْ يتحيّز إلى منهج دون آخر، وهمّه عرض هذه الأُسس الفكريّة على روّاد الفكر والمعرفة، فنسبة هذا العلم إلى علم العقائد نسبة تاريخ العلم إلى نفس العلم.

٣- تعريفه، موضوعه، مسائله، غايته

إنّ علم الملل والنِّحل كسائر العلوم له تعريف وموضوع ومسائل وغاية.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ج١، ص٧٥٢١ وص ٧٥٢٩.

أمّا تعريفه: فهو العلم بتاريخ نشوء المذاهب والديانات عَبر القرون ومقارنتها مع بعض.

وأمّا موضوعه: فهو عقائد الأُمم، ويُعبَّر عنه بالملل والنِّحل.

وأمّا مسائله: فهي الاطّلاع على آراء أصحاب الديانات.

وأمّا غايته: فتتّحد غايته مع تاريخ العلوم على وجه الإطلاق، وهي إعطاء البصيرة للمحقِّق الكلاميّ في نشوء العقائد واشتقاق بعضها من بعض.

٤- المصنّفات في الملل والنِّحل

إنّ ما كُتب في هذا المجال على قسمين: قسمٌ منه يتناول جميع أديان البشر أو أكثرها. وقسمٌ منه يختصّ بالفرق الإسلاميّة.

فمن القسم الأوّل:

١- «**الآراء والديانات**»: تأليف حسن بن موسى النوبختي (المتوفّى سنة ٢٩٨ هـ).

٢- «**المقالات**»: تأليف محمّد بن هارون الورّاق البغدادي (المتوفّى سنة ٣٤٧ هـ).

يصفه النجاشيّ بقوله: كتاب كبير، حسن، يحتوي على علوم كثيرة، قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله[١].

٣- «**أُصول الديانات**»: لأبي الحسن عليّ بن الحسين المسعودي (المتوفّى عام ٣٤٥ هـ) صاحب مروج الذهب.

٤- الفصل في الملل والنِّحل لابن حزم الظاهري (المتوفّى عام ٤٥٦ هـ).

٥- الملل والنِّحل لأبي الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ).

(١) رجال النجاشي: رقم ١٤٦.

ومن القسم الثاني:

١- «**مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين**»: تأليف شيخ الأشاعرة أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠- ٣٢٤ هـ).

٢- «**التنبيه والردّ**»: لأبي الحسين الملطي (المتوفّى عام ٣٧٧ هـ).

٣- «**الفَرق بين الفرق**»: تأليف الشيخ عبد القاهر البغدادي التميمي (المتوفّى عام ٤٢٩ هـ).

٤- «**التبصير في الدين**»: للطاهر بن محمّد الاسفرايني (المتوفّى عام ٤٧١ هـ).

٥- «**فرق الشيعة**»: تأليف الشيخ أبي القاسم سعد بن عبد الله القمّي (المتوفّى عام ٢٩٩ هـ). وربّما يُنسب هذا الكتاب إلى حسن بن موسى النوبختي.

٥- علل تكوّن الفرق الإسلامية

لبّى النبيُّ ﷺ دعوة ربّه وانتقل إلى جواره وترك لأُمّته ديناً قيّماً، يمتاز بصفات من أبرزها بساطة العقيدة ويُسر التكليف. كما ترك من بعده منارات يُهتدى بها وهي: كتاب الله العزيز ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١]، وسنّته الوضّاءة المقتبسة من الوحي[٢] السليم من الخطأ، وعترته الطاهرة وهم قرناء الكتاب[٣].

وكان الجدير بالمسلمين التمسّك بالعروة الوثقى وتوحيد الكلمة في عامّة المواقف، إلّا فيما كان الاختلاف فيه أمراً ضروريّاً لا يُمكن اجتنابه، ولكنْ - مع الأسف - ظهرت بينهم فِرَقٌ ومذاهب يختلف بعضها عن بعض في جوهر الإسلام وأُصوله.

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) انظر: سورة النجم، الآية: ٤.

(٣) انظر: حديث الثقلين.

عوامل تكوّن الفرق:

العامل الأوّل: الاتجاهات الحزبيّة والتعصّبات القبليّة

إنّ أعظم خلاف بين الأُمّة هو الخلاف في قضيّة الإمامة، وما سُلّ سيفٌ في الإسلام وفي كلّ الأزمنة على قاعدة دينيّة مثلما سُلّ على الإمامة.

ومع أنّ الرسول لم يترك الأُمّة سدى، بل نصب خليفة وإماماً للمسلمين يقوم بوظائف النبوّة بعده - وإنْ لم يكن نبيّاً - لكنْ اجتمع نفرٌ من الأنصار في سقيفة بني ساعدة قبل تجهيز النبيّ ومواراته ثمّ التحق بهم نفرٌ من المهاجرين لا يتجاوز عددهم الخمسة، فكثُر الاختلاف والنزاع بينهم، فكلٌّ طائفة كانت تُحاول جرّ النار إلى قرصها، فيقول مندوب الأنصار رافعاً عقيرته: يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست في العرب، إلى أنْ قال: استبدّوا بهذا الأمر دون الناس.

وقال نفرٌ من المهاجرين: من ذا الّذي يُنازع المهاجرين في سلطان محمّد وإمارته وهم أولياؤه وعشيرته[1].

فشكّلت المناشدة في السقيفة الحجر الأساس للتفرّق وانثلام الكلمة ونسيان الوصيّة الّتي أدلى بها النبيُّ ﷺ في غير واحد من المواقف منها يوم الغدير.

العامل الثاني: سوء الفهم واللّجاج في تحديد الحقائق

ثار أهل العراق والحجاز ومصر على عثمان نتيجة إيثاره لبني أميّة في المناصب والعطاء وبسبب الأحداث المؤلمة الّتي ارتكبها عمّاله في هذه البلاد وانتهى الأمر إلى قتله ونهوض الإمام عليّ عليه السلام بأعباء الخلافة، فقام الإمام عليه السلام بعزل الولاة آنذاك عملاً بواجبه أمام الله سبحانه وأمام المبايعين له، غير أنّ معاوية الّذي عرف موقف الإمام عليّ عليه السلام بالنسبة إلى عمّال عثمان

(١) راجع: بحث حول الولاية، الشهيد الصدر، ص ٣٤.

رفض قرار العزل ورفض بيعة الإمام عليه السلام، ونجم عن ذلك حرب صفّين بين جيش الإمام عليّ عليه السلام وجيش معاوية، فلمّا ظهرت بوادر النصر لصالح الإمام علـيّ عليه السلام التجأ معاوية وحزبه إلى خديعة رفع المصاحف والدعوة إلى تحكيم القرآن بين الطرفيـن، فصار ذلك نواةً لحدوث الاختلاف في جيش الإمام عليّ عليه السلام، وقـد أمر الإمام بمواصلة الحرب وقام بتبيين الخدعة، غير أنّ الظروف الحاكمة علـى جيش الإمام ألجأته إلى وقف الحرب وإيـلاء الأمر إلى الحَكَمين وإعلان الهدنة.

ومـن عجيـب الأمر أنّ الّذين كانـوا يُصرّون على إيقاف الحـرب ندموا على مـا فعلوا، فجاءوا إلى الإمـام يُصرّون على نقض العهد، غير أنّ الإمام وقف في وجههـم لما يتضمّن اقتراحهم من نقض العهـد، وعند ذلك ظهرت فرقة باسم المحكِّمـة حيـث زعموا أنّ مسألة التحكيم تُخالف قوله سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلهِ﴾[1]، وقد أجاب الإمام عليه السلام على هذه الدعوى بأنّها **كلمة حقٍّ يُراد بها باطل**، وقـد صار هـذا الاعوجاج مبدأ لظهـور الخـوارج بفرقها المختلفـة على ساحة التاريخ.

العامل الثالث: المنع عن كتابة الحديث

منـع الخلفـاء الثلاثة ومن سـار على نهجهـم بعد رحيل الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم كتابة الحديـث وتدوينه[2]، بل الإخبار عنـه صلى الله عليه وآله وسلم إلى أواخر القرن الأوّل، مع أنّ حديث الرسول عِدل القرآن الكريم، فالقرآن وحيٌ بلفظه ومعناه، وسنّته وحيٌ بمعناه لا بلفظه.

وقـد اعتمـدوا في منع كتابـة السنّة ونشرهـا على روايـات موضوعة مخالفة للكتاب والسنّة الثابتة.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٢) راجع: نهاية الدراية، السيّد حسن الصدر، ص ١٩.

وقد ترك هذا المنع آثاراً سلبيّة أقلّها حرمان الأُمّة من السنّة النبويّة الصحيحة قرابة قرن ونصف، ممّا أدّى إلى نشوء مذاهب فقهيّة كانت سبباً مساعداً على تكوّن الفرق الإسلاميّة، وبروز الخلاف بين المسلمين، ثمّ بعد مضيّ هذه الفترة الزمنيّة ظهر الوضّاعون والكذّابون بين المسلمين، فرووا وأسندوا عن الرسول ﷺ ما شاءوا وما أرادوا، وصارت هذه الحيلولة سبباً لازدياد الحديث حتّى أخرج محمّد بن إسماعيل البخاريّ صحيحه عن ستمائة ألف حديث، وأين حياة الرسول المليئة بالأحداث من التحديث بهذا العدد الهائل من الأحاديث؟! ولذلك غربلها البخاريّ فأخرج منها ما يُقارب ألفين وسبعمائة وواحداً وستين حديثاً، ولا يقلّ عنه صحيح مسلم وكتب السنن الأخرى.

العامل الرابع: فسح المجال للأحبار والرهبان

إنّ الفراغ الّذي خلّفه المنع عن نقل أحاديث الرسول أوجد أرضيّة مناسبة لتحديث الأحبار والرهبان عن العهدين، فصاروا يُحدِّثون عن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بما سمعوه من مشايخهم أو قرأوه في كتبهم.

يقول الشهرستانيّ: وضع كثير من اليهود الّذين اعتنقوا الإسلام أحاديث متعدِّدة في مسائل التجسيم والتشبيه، وكلّها مستمدّة من التوراة[١].

ويقول الكوثريّ: إنّ عدّة من أحبار اليهود ورهبان النصارى وموابذة المجوس أظهروا الإسلام في عهد الراشدين ثُمّ أخذوا بعدهم في بثِّ ما عندهم من الأساطير[٢].

ولو كان نشر الحديث وتدوينه وتحديثه أمراً مسموحاً لما وجد الأحبار والرهبان مجالاً للتحديث عن كتبهم المحرَّفة. ولشُغل المسلمون عن سماع ما يبثّون من الخرافات لأجل الاشتغال بالقرآن والسنّة، ولكنّ الفراغ الّذي خلّفه

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص ١٦.
(٢) مقدّمة تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، ص ٣٠.

المنع من تدوين الحديث أعانهم على نشر الأحاديث الموضوعة واجتماع الناس حولهم، ومن قرأ سيرة كعب الأحبار، ووهب بن منبّه اليمانيّ، وتميم بن أوس الداري وغيرهم يقف على دورهم في نشر الأساطير وإغواء الخلفاء بها.

العامل الخامس: الاحتكاك الثقافي

التحق النبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى وقام المسلمون بفتح البلدان والسيطرة عليها وكانت الأُمم المغلوبة ذات حضارة وثقافة في المعارف والعلوم والآداب.

وكان بين المسلمين رجال ذوو دراية ورغبة في كسب العلوم وتعلُّم ما في هذه البلاد من آداب وفنون، فأدّت هذه الرغبة إلى المذاكرة والمحاورة أوّلاً، ونقل كتبهم إلى اللغة العربيّة ثانياً، حتّى انتقل كثير من آداب الرومان والفرس إلى المجتمع الإسلامي، ولا شكّ أنّ من تلك المعارف ما يُضادّ مبادئ الإسلام، وكان بين المسلمين من لم يتدرّع في مقابلها، ومنهم من لم يتورّع عن أخذ الفاسد منها، فصار ذلك مبدأ لظهور ديانات وعقائد على الصعيد الإسلاميّ عندما صَبغوا ما أخذوه من الكتب بصبغة الإسلام.

العامل السادس: الاجتهاد في مقابل النصّ

إذا كانت العوامل الخمسة سبباً لنشوء المذاهب الكلاميّة فهناك عامل سادس صار مبدأ لتكوّن المذهب الكلاميّ والمذهب الفقهيّ، وهو تقديم الاجتهاد - لمصلحة مزعومة - على النصّ.

إنّ الرسول ﷺ قد أوصى المسلمين بعترته وشبّههم بسفينة نوح وأعلن في حشد عظيم: «**يا أيّها النّاس إنّي تركت فيكم ما إنْ أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[1]، ومع ذلك استأثر القوم بالأمر يوم السقيفة وقضوا أمورهم من دون مشورة أو حوار مع أهل البيت عليهم السلام، فصار ذلك سبباً لظهور

(١) كنز العمال، ج١، ص٤٤، باب الاعتصام بالكتاب والسنّة.

مذاهب فقهيّة مبنيّة على تقديم المصلحة المزعومة على نصّ النبيّ ﷺ، وعلى هـذا الأساس منعوا من متعة الحجّ ومتعة النساء وتوريث الأنبياء عليهم السلام إلى غير ذلـك من الآراء الفقهيّـة المناقضة للسنّة النبويّة، كمـا أحدثت مذاهب كلاميّة لأجل الاستبداد بفكرهم من دون عرضها على الكتاب والسنّة.

هـذه العوامل الستّة هي أهمّ العوامل الّتـي صارت سبباً لظهور المذاهب بين الإسلاميّيـن. ومن حسن الحـظّ أنّ أغلب الطوائف تشترك فـي الأمور الّتي بها يُناط الإسلام، وإنْ كانوا يختلفون في مباحث كلاميّة أو مسائل فقهيّة.

خلاصة الدرس

علـم الملل والنِّحل: هو العلـم بتاريخ نشوء المذاهـب والديانات عبر القرون ومقارنتها مع بعضها.

تنقسم مؤلّفات الملل والنِّحل إلى قسمين:

١ ـ ما يتناول المقارنة بين الأديان.

٢ ـ ما يتناول المقارنة بين المذاهب الإسلاميّة.

من علل تكوُّن الفِرق والمذاهب:

١ ـ الاتجاهات الحزبيّة والتعصُّبات القبليّة، ٢ ـ سوء الفهم واللّجاج في تحديد الحقائق، ٣ ـ المنع عن كتابة الحديث، ٤ ـ فسح المجال للأحبار والرهبان في بثّ أساطيرهم، ٥ ـ الاحتـكاك الثقافي بيـن المسلمين والدولة الّتـي افتتحوها، ٦ ـ تقديم الاجتهاد الشخصيّ على النصوص الشرعيّة.



الأسئلة

١. ما هو معنى الملّة والنحلة لغةً؟

٢. اذكر ثلاثة من علل تكوّن الفرق.

٣. عدّد ثلاثة مصنّفات في الملل والنحل.



مطالعة

في ذمّ الاختلاف:

من كلام الإمام عليٍّ عليه السلام: «إنّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان:

رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهنٌ بخطيئته.

ورجل قمش (جمع) جهلاً، مُوضع في جُهّال الأمّة، غار في أغباش الفتنة، عمٍ (جاهل) بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكّر فاستكثر من جمع، ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من آجن (ماء فاسد)، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التُبس على غيره، فإنْ نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه، ثمّ قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت، لا يدري أصاب أم أخطأ، إنْ أصاب خاف أنْ يكون قد أخطأ، وإنْ أخطأ رجا أنْ يكون قد أصاب، جاهل خبّاط جهالات، عاش ركّاب عشوات، لم يعضّ على العلم بضرس قاطع، يُذري الروايات إذراء الريحِ الهشيم، لا ملئ والله بإصدار ما ورد عليه، لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره، ولا يرى أنّ من وراه ما بلغ منه مذهباً لغيره، وإنْ أظلم عليه أمرٌ اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور

قضائه الدماء، وتعجّ منه المواريث.

إلـى الله أشـكو من معشـر يعيشـون جُهّالاً، ويموتـون ضُـلاّلاً، ليس فيهم سلعة أبور من كتاب الله إذا تُلي حقّ تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً منـه إذا حُـرِّف عـن مواضـعه، ولا عندهـم أنكر مـن المعـروف، ولا أعرف من المنكر»[(١)].

وعنه عليه السلام – في ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا –: «ترد على أحدهم القضيّة فـي حكـم مـن الأحكام فيحكـم فيها برأيـه، ثمّ ترد تلـك القضـيّة بعينها على غيـره فيحكـم فيها بخلاف قوله، ثمّ يجتمع القضـاة بذلـك عند الإمام الّذي استقضـاهم، فيصـوّب آراءهـم جميعاً وإلههـم واحد! ونبيّهم واحـد! وكتابهم واحد!

أفأمَرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه! أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه! أم كانوا شركاء له، فلهم أنْ يقولوا، وعليه أنْ يرضـى! أم أنزل الله سـبحانه ديناً تامّاً فقصّـر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سـبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[(٢)]، وفيه تبيانٌ لكلّ شـيء[(٣)]، وذكر أنَّ الكتاب يُصـدّق بعضه بعضاً، وأنَّه لا اختلاف فيه، فقال سـبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[(٤)] وإنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضـي غرائبه، ولا تُكشـف الظلمات إلّا به»[(٥)].



(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٣) يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨.



الدرس الثاني

المعتزلة



أهداف الدرس

١. أن يتعـرّف الطالب إلى أهمِّ معتقدات المعتزلة.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ شخصيّاتهم.



تمهيد

المعتزلة بين المدارس الكلاميّة المختلفة، مدرسة فكريّة عقليّة، أعطت للعقل القسط الأوفر والسّهم الأكبر حتّى فيما لا سبيل للعقل إليه.

النشأة والتسمية

ذكروا في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم أموراً نذكر منها:

١ ـ اعتزال الحرب مع عليّ عليه السلام أو ضدّه

قال أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث في كتابه «**فرق الشيعة**» عند البحث عن الأحداث الواقعة بعد مقتل عثمان: «**فلمّا قُتل بايع الناس عليّاً فسمّوا الجماعة، ثمّ افترقوا بعد ذلك وصاروا ثلاث فرق: فرقة أقامت على ولايته عليه السلام، وفرقة خالفت عليّاً وهم طلحة والزبير وعائشة، وفرقة اعتزلت مع سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقّاص، وعبدالله بن عمر بن الخطّاب، ومحمّد بن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ هؤلاء اعتزلوا عن عليّ عليه السلام وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضى به. فسمّوا المعتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد، وقالوا: لا يحلّ قتال عليّ ولا القتال معه**»[١].

(١) الملل والنحل، السبحاني، ج ٣، ص٢٢١.

٢ ـ اعتزال واصل بن عطاء عن مجلس الحسن البصري

وقـع الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة وأوجد ذلك ضجّة كبيرة في الأوساط الإسلاميّة في عصر الإمام عليّ عليه السلام وبعده، حيث عدّ الخوارج مرتكب الكبيرة كافـراً، كما عــدّه غيرهــم مؤمناً فاسقــاً، وعــدّت المرجئة من شهــد بالتوحيد والرسالة لساناً أو جناناً مؤمناً. وقد أخذت المسألة لنفسها مجالاً خاصّاً للبحث عدّة قرون. وكان لها في زمن الحسن البصري دويّ خاصّ.

نقل الشهرستانيّ أنّه دخل شخص على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين! لقـد ظهرت في زماننا جماعة يُكفِّرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم تُخرج عـن الملّة، وهم وعيديّة الخـوارج. وجماعة يُرجئون أصحاب الكبائر ويقولون لا تضرّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمّة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟

فتفكّـر الحســن في ذلك وقبل أنْ يجيب، قال واصل بــن عطاء: أنا لا أقول إنّ صاحــب الكبيــرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل هو فــي منزلة بين المنزلتين لا مؤمــن ولا كافــر. ثــمّ قام واعتزل إلــى اسطوانــة المسجد يُقرّر مــا أجاب به علــى جماعة مــن أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنّــا واصل، فسمّي هو وأصحابه: معتزلة[1].

هذا ويُطلق على المعتزلة تسميات أخرى، منها:

العدليّة: لأنّهم يلتزمون بالعدل الإلهيّ.

الموحّدة: لأنّهم لا يرون قديماً إلّا اللّه.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص٤٨.

أهمُّ معتقدات المعتزلة

١ ـ نيابة الصفات عن الذات

يعتقـد المعتزلة أنّ صفات الله تعالى عين ذاته، والقول المشهور عندهم هي نظريّة نيابة الذات عن الصفات، من دون أنْ تكون هناك صفة، وذلك لأنّهم رأوا أنّ الأمر في أوصافه سبحانه يدور بين محذورين.

أ ـ لـو قلنا بأنّ له سبحانــه صفات مستقلّة عن ذاتــه كالعلم، وجب الاعتراف بالتعدُّد والإثنينيّة؛ لأنّ واقع الصفات هو المغايرة للموصوف.

ب ـ إنّ نفــي العلم والقدرة وسائر الصفات الكماليّة يستلزم النقص في ذاته أوّلاً ويُكذِّبه اتقان آثاره وأفعاله ثانياً.

فللفــرار من هذين المحذوريــن كان انتخابهم نظريّة النيابة، وهي القول بأنّ الذات نائبة مناب الصفات.

وخلاصة ما يراه المعتزلة في ذلك «**إنَّ الذات الإلهيّة قديمة لها صفات هي العلم والقدرة والحياة، وهذه الصفات هي الذات المقدّسة من حيث المصداق والتعـدّد فقـط في عالم المفاهيـم والألفاظ، وجميع هذه الألفاظ تشـير إلى معنى واحد فصـفات الله تعالى عين ذاته؛ لأنّ إثبات صـفة إلى جانب الذات أو بعرض الذات إنّما يعني إثبات إلهين**»[1].

٢ـ نظرية الإحباط

الإحباط في عُرف المتكلّمين عبارة عن بطلان الحسنة، وعدم ترتّب ما يُتوقّع منها عليها، ويُقابله التكفير وهو إسقاط السيئة وعدم ترتّب الآثار عنها.

والمعروف عن الإماميّة والأشاعرة هو أنّه لا تحابط بين المعاصي والطاعات

(١) راجع: صفات الله عند المسلمين، حسين العايش، ص ١٧.

والثواب والعقاب، والمعروف من المعتزلة هو التحابط، ثُمّ إنّهم اختلفوا في كيفيّته، منها: أنّ الإساءة الكثيرة تُسقط الحسنات القليلة وتمحوها بالكليّة.

وقيل إن جمهور المعتزلة ذهبوا إلى أنّ الكبيرة الواحدة تحبط ثواب جميع العبادات، وهذا بخلاف قول نُفاة الإحباط؛ فالمطيع والعاصي يستحقّ الثواب والعقاب معاً، فيُعاقب مدّة ثمّ يخرج من النار فيثاب بالجنّة.

نعم ثبت الإحباط في موارد نادرة كالارتداد، والشرك، وقتل الأنبياء..[1].

٣ ـ خلود مرتكب الكبيرة في النار

اتّفقت الإماميّة على أنّ الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفّار خاصّة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة، ووافقهم على هذا القول أصحاب الحديث قاطبة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أنّ الوعيد بالخلود في النار عامّ في الكفار وجميع فُسّاق أهل الصلاة. والظاهر من القاضي عبد الجبار ـ وهو أحد شخصيّات المعتزلة ـ هو الخلود، واستدلّ بقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا﴾[2]. فالله تعالى أخبر أنّ العصاة يُعذّبون بالنار ويخلدون فيها، والعاصي اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً فيجب حمله عليهما لأنّه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبيّنة، فلمّا لم يبيّنه دلّ على ما ذكرناه[3].

٤ ـ لزوم الوفاء بالوعيد

المشهور عن المعتزلة أنّهم لا يجوّزون عفو الله عن المسيء لاستلزامه الخلف، حيث إنّه توعّد المذنب بالعقاب كما وعد المحسن بالمثوبة، وأنّه يجب العمل بالوعيد، كما هو الحال في الوعد، والعقاب يجب فعله في كلّ حال، بينما الثواب لا يجب إلّا من حيث الجود.

(١) انظر: رسائل ومقالات، السبحاني، ص ٢٧٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٣) رسائل ومقالات، السبحاني، ص ٢٧٠.

٥ ـ الشفاعة ترفع الدرجة

لمّا ذهبت المعتزلة إلى خلود مرتكب الكبيرة في النار، وإلى لزوم العمل بالوعيد، ورأت أنّ آيات الشفاعة لو شملت الفسّاق الّذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا لكانت منزلة الشفاعة منزلة من قتل ولد الغير وترصّد للآخر حتّى يقتله، فكما أنّ ذلك يقبح فكذلك هاهنا.

فالشفاعة عندهم عبارة عن رفع الدرجة، فخصّوها بالتائبين من المؤمنين وصار أثرها عندهم رفع المقام لا الإنقاذ من العذاب أو الخروج منه، قال القاضي عبد الجبار: إنّ فائدة الشفاعة رفع مرتبة المشفوع له والدلالة على منزلته من الشفيع[١].

٦ ـ مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر (المنزلة بين المنزلتين)

إنّ مقترف الكبيرة عند الشيعة والأشاعرة مؤمن فاسق خرج عن طاعة الله. وهو عند الخوارج، كافرٌ كُفر ملّة عند جميع فرقهم إلّا الإباضيّة فهو عندهم كافرٌ كُفر النعمة، وأمّا المعتزلة فهو عندهم في منزلة بين المنزلتين قال القاضي:

إنّ صاحب الكبيرة له اسم بين الإسمين، وحكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسم المؤمن فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل يُفرد له حكم ثالث. وهذا الحكم الّذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين، قال: صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان.

٧ ـ التفويض في الأفعال

ذهبت المعتزلة إلّا من شذّ كالنجّار وأبي الحسن البصري إلى أنّ أفعال العباد واقعة بقدرتهم وحدها على سبيل الإستقلال دون إيجاب بل باختيار.

(١) م. س، ص ٣٧٢.

قال القاضي: أفعال العباد لا يجوز أنْ توصف بأنّها من الله تعالى ومن عنده ومن قبَله...

قال السيّد الشريف الجرجانيّ-(ت ٨٨٦هـ): إنّ المعتزلة استدلّوا بوجوه كثيرة مرجعها إلى أمر واحد وهو أنّه لولا استقلال العبد بالفعل على سبيل الاختيار، لبطل التكليف وبطل التأديب الّذي ورد به الشرع، وارتفع المدح والذم، إذ ليس للفعل استناد إلى العبد أصلاً، ولم يبق للبعثة فائدة لأنّ العباد ليسوا موجدين أفعالهم، فمن أين لهم استحقاق الثواب والعقاب[1].

٨ ـ الإمامة بالشورى

اتفقت الإماميّة على أنّ الإمامة بالنصّ، خلافاً للأشاعرة والمعتزلة حيث قالوا إنّها بالشورى وغيرها، ويتفرّع على ذلك أمرٌ آخر وهو: أنّ النبيَّ نصّ على خليفة بالذّات عند الإماميّة، وقال الآخرون: سكت وترك الأمر شورى بين المسلمين.

قال القاضي عبد الجبّار عند البحث عن طرق الإمامة (عند المعتزلة): إنّها العقد والاختيار.

ومن هنا قالت المعتزلة أنّ عليّاً عليه السلام هو الأفضل والأحقّ بالإمامة، وأنّه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أنّ الأصلح للمكلّفين تقديم المفضول عليه لكان من تقدّم عليه هالكاً. وهذا ما أشار إليه ابن أبي الحديد المعتزلي في مقدّمة شرحه لنهج البلاغة حيث قال: «**وقدّم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف**».

(١) رسائل ومقالات، السبحاني، ص ٣٧٧.

أهمّ شخصيّات المعتزلة

١ ـ واصل بن عطاء (٨٠ ـ ١٣١هـ)

أبو حذيفة واصل بن عطاء مؤسِّس الاعتزال، المعروف بالغزّال.

قال الذهبيّ: جالس أبا هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية (بن الإمام عليّ عليه السلام)، ثمّ لازم الحسن (البصري) وكان صموتاً، وله مؤلَّف في التوحيد، وكتاب «المنزلة بين المنزلتين»[1].

روى المبرّد قال: حُدّثتُ أنّ واصل بن عطاء أقبل في رفقة فأحسّوا بالخوارج، وكانوا قد أشرفوا على العطب. فقال واصل لأهل الرفقة: إنّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإيّاهم، فقالوا: شأنك. فقال الخوارج له: ما أنت وأصحابك؟ قال: مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله، ويُقيموا حدوده فقالوا: قد أجرناكم، قال: فعلّمونا أحكامه، فجعلوا يعلّمونه أحكامهم، وجعل يقول: قد قبلت أنا ومن معي، قالوا: فامضوا مصاحبين فإنّكم إخواننا، قال لهم: ليس ذلك لكم. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[2] فأبلغونا مأمننا فساروا بأجمعهم حتّى بلغوا الأمن[3].

٢ ـ عمرو بن عبيد (٨٠ ـ ١٤٣هـ)

الشخصيّة الثانية للمعتزلة بعد واصل بن عطاء هو عمرو بن عبيد وكان من أعضاء حلقة الحسن البصري. مثل واصل، لكنّه التحق به بعد مناظرة جرت بينهما.

٣ ـ أبو الهذيل العلّاف (١٣٥ ـ ٢٣٥هـ)

أبو الهذيل محمّد بن الهذيل العبدي ـ نسبة إلى عبد القيس ـ وكان مولاهم وكان يلقّب بالعلّاف، لأنّ داره في البصرة كانت في العلّافين.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٥، ص ٤٦٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.
(٣) أمالي المرتضى، السيد المرتضى، ج١، ص١٦٨.

٤ ـ إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام (١٦٠ ـ ٢٣١ هـ)

النظّام: هو من شخصيّات المعتزلة ومن متخرّجي مدرسة البصرة للاعتزال، وقد ذكروا أنّه كان قويّ الذكاء.

وقد اشتهر النظّام بمذهب الصرفة[١] في إعجاز القرآن فقد كان يُجوِّز أنْ يقدر عليه العباد لولا أنّ الله منعهم بمنع[٢].

ومن المعلوم أنّ تفسير إعجاز القرآن بمثل هذا باطل جدّاً؛ لأنّ القرآن عند المسلمين مُعجِز لكونه خارقاً للعادة لما فيه من ضروب الإعجاز في الجوانب الأربعة:

١ ـ الفصاحة القصوى ٢ ـ البلاغة العليّا ٣ ـ النظم المخصوص ٤ ـ الأُسلوب البديع. فقد تجاوز عن حدِّ الكلام البشريّ ووصل إلى حدٍّ لا تكفي في الإتيان بمثله القدرةُ البشريّة.

٥ ـ أبو عليّ محمّد بن عبدالوهّاب الجبّائي (٢٣٥ ـ ٣٠٣هـ)

هو أحد أئمّة المعتزلة في عصره، وإمام في الكلام، وفي كتاب «الفهرست» لابن النديم: «هو من معتزلة البصرة، ذلّل الكلام وسهّله ويسّر ما صعب منه، وإليه انتهت رئاسة البصريّين في زمانه»[٣].

٦ ـ قاضي القضاة عبد الجبّار (٣٢٤ ـ ٤١٥ أو ٤١٦هـ)

هو عبد الجبّار بن أحمد بن عبد الجبّار الهمداني الأسدآبادي، الملقّب بقاضي القضاة ولا يُطلق ذلك اللّقب على غيره.

٧ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفّى عام ٢٥٥هـ)

قال القاضي نقلاً عن «المصابيح»: «**إنّه نسيج وحده في العلوم، لأنّه جمع**

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٢) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ص٢٢٥.

(٣) الفهرست، لابن النديم، ص ٢١٧، الهامش.

إلـى علم الـكلام والفصـاحة، العلم بالأخبار والأشـعار والفقـه وتأويل الكلام وهـو متقـدّم فـي الجـدّ والهزل، ولـه كتب فـي التوحيـد وإثبات النبـوّة ونظم القرآن وحدوثه، وفي فضائل المعتزلة»[1].

خلاصة الدرس

المعتزلة من الاتجاهات المذهبيّة الكلاميّة ذات النزعة العقليّة.

سُمّيـت المعتزلة بهذا الاسم تبعاً لجماعـة اتخذوا موقفاً حياديّاً فلم يحاربوا مـع الإمام علي عليه السلام ولم يحاربوا ضدّه، أو لأجـل اعتزال واصل بن عطاء وهو إمام المعتزلة مجلس الحسن البصريّ.

تتمثّل أهمُّ معتقدات المعتزلة في التالي:

١ ـ نيابـة الصفات عن الذات، ٢ ـ نظريّة الإحباط أي القول بأنّ السيّئة تُبطل الحسنة.

٣ ـ خلود مرتكب الكبيرة في النار. ٤ ـ التفويض في أفعال العباد.

أهـمُّ شخصيّـات المعتزلة هم: واصـل بن عطاء، عمرو بن عبيـد، النظّام، قاضي القضاة عبد الجبار، والجاحظ.

(١) الملل والنحل، السبحاني، ج٣، ص ٣٨١، نقلاً عن فضل الاعتزال، ص ٢٧٥.



١. من هو مؤسّس مذهب الإعتزال؟

٢. اذكر ثلاثة من معتقدات مذهب الإعتزال.

٣. وضّح عقيدة المعتزلة في نيابة الصفات عن الذات.

٤. عدّد ثلاثة من شخصيّات المذهب المعتزليّ.



مناظرة هشام مع المعتزلة حول الإمامة

عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمّد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيّار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شابٌّ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تُخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إنّي أُجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظُم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي ثمّ قلت: أيُّها العالم إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بُنيّ أيّ شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتي فقال يا بُنيّ سل وإنْ كانت مسألتك حمقاء قُلت: أجبني فيه، قال لي سل قُلت ألك عين؟ قال: نعم

قُلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قُلت: فلك أنف؟ قال: نعم قُلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة قُلت: ألك فم؟ قال: نعم، قُلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قُلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قُلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قُلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قُلت: فما تصنع به؟ قال: أُميِّز به كلّما ورد على هذه الجوارح والحواس، قُلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قُلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بُنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويُبطل الشك، قال هشام: فقُلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قُلت: لا بُدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يُصحّح لها الصحيح ويتيقّن به ما شكّ فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يُقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحَيْرتهم، ويُقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حَيْرتك وشكّك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً. ثُمّ التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جُلسائه؟ قُلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذاً هو، ثُمّ ضمّني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتّى قُمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علّمك هذا؟ قُلت: شيء أخذته منك وألّفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام [1].

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٣، ص٧.



الدرس الثالث

الأشاعرة



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى نشأة الأشاعرة.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ معتقداتهم وشخصيّاتهم.

النشأة والظهور

ترجع بدايات نشأة الأشاعرة إلى فرقة أهل الحديث: وهم الّذين تعبّدوا بظواهر الآيات والروايات من دون غور في مفاهيمها، أو دقّة في أسنادها، وكانوا يُشكّلون الأكثريّة الساحقة بين المسلمين، وكثُرت فيهم المشبِّهة والمجسِّمة، والمثبتون للّه سبحانه علوّاً وتنقّلاً وحركة وأعضاءً، كاليد والرجل والوجه!!

ولمّا تسلّم المتوكِّل مقاليد الحكم؛ أمر بنشر منهج أهل الحديث بقوّة وحماس، وتبعه غيره من العبّاسيّين في دعم مقالتهم، وتضييق الأمر على أهل الاعتزال، وقد كان الأمر على هذا المنوال إلى عصر أبي الحسن الأشعريّ (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ) الّذي كان معتزليّاً ثمّ صار من زمرة أهل الحديث، فكانت السلطة تُسايرهم وتوافقهم.

وقد كوّن الأشعريّ برجوعه عن الاعتزال إلى مذهب أهل الحديث منهجاً كلاميّاً، له أثره الخاصّ إلى يومنا هذا بين أهل السنّة، فمذهبه الكلاميّ هو المذهب السائد بينهم في أكثر الأقطار.

من هو الأشعريّ المؤسِّس للمذهب

هو أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد اللّه بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ.

وأما جدّه ـ أبو موسى الأشعريّ ـ فقد عُيِّن من جانب الإمام عليّ عليه السلام حكماً، كما عُيِّن عمرو بن العاص من جانب معاوية حكماً، ليقضيا في أمر الفرقتين بما وجدا في كتاب الله، وإنْ لم يجدا في كتاب الله فليرجعا إلى السنّة.

فكانت نتيجة ذلك ـ بعد خدعة من عمرو بن العاص ـ أنّه خلع عليّاً عليه السلام عن الخلافة، وأثبت عمرو بن العاص معاويةَ في الخلافة، وكأنّه وجد دليلاً في الكتاب والسنّة على عدم صلاحيّة الإمام للخلافة، وذاك وجد دليلاً حاسماً على صلاحيّة معاوية!!

أمّا الأشعريّ الحفيد فقد تخرّج في كلام المعتزلة على أبي عليّ الجبائيّ، وهو محمّد بن عبد الوهاب بن سلام من معتزلة البصرة.

ولكنّه تراجع عن مذهب المعتزلة، وذكروا أسباباً متعدِّدة لبيان سبب رجوعه، وممّا ذُكر: أنّه رجع عن ذلك لأسبابٍ سياسيّة تتّصل بالضغط الّذي مارسته السلطة العبّاسيّة على أتباع مدرسة الاعتزال. وذلك لأنّ الأشعريّ قد مارس علم الكلام على مذهب الاعتزال مدّة مديدة وبرع فيه إلى أوائل العقد الخامس من عمره، وعند ذاك السن تكون عقيدة الاعتزال صورة راسخة وملكة متأصِّلة في نفسه، فمن المشكل جدّاً أنْ ينخلع الرجل دفعة واحدة عن كلّ ما تعلّم وعلّم، وناظر وغَلب أو غُلب، وينخرط في مسلك يُضادّ ذلك ويُغايره بالكليّة. نعم، نتيجة بروز الشكّ والتردُّد هو عدوله عن بعض المسائل وبقاؤه على مسائل أُخر، وأمّا العدول دفعة واحدة عن جميع ما مارسه وبرع فيه، والبراءة من كلّ ما يمتُّ إلى منهج الاعتزال بصلة، فلا يُمكن أنْ يكون أمراً حقيقيّاً جديّاً من جميع الجهات، فالنتيجة أنّ تركه لمذهب الإعتزال ما هو إلّا نتاجٌ للرياح السياسيّة الضاغطة في ذلك الوقت.

أهمُّ عقائد الأشاعرة

١ ـ الاعتماد على العقل

كانـت المعتزلة تعتمـد على العقل في المسائل الكلاميّـة، ويؤوّلون النصوص القرآنيّـة عندمـا يجدونها مخالفة لآرائهم ـ بزعمهـم ـ ولا يكادون يعتمدون على السنّـة، ولأجل ذلك نرى أنّهم أوّلوا الآيات الكثيرة الواردة حول الشفاعة ـ الدالّة علـى غفـران الذنوب بشفاعـة الشافعين ـ بـأنّ المراد رفع درجـات الصالحين بشفاعة الشفعاء، لا غفران ذنوب الفاسقين.

وكان المحدّثون يرون الكتاب والسنّة مصدراً للعقائد، ويُنكرون العقل ورسالته فـي مجالهـا، ولم يُعدّوه مـن أدوات المعرفة في الأُصول، فكيـف في الفروع، ولا شكّ أنّ هذا خسارة كبيرة لا تُجبر.

وقد جاء الأشعريُّ بمنهج معتدل بين المنهجين، وقد أعلن أنّ المصدر الرئيس للعقائد هو الكتاب والسنّة، وفي الوقت نفسه خالف أهل الحديث بذكاء خاصّ عن طريق استغلال البراهين العقليّة والكلاميّة على ما جاء في الكتاب والسنّة.

كان أهـل الحديث يُحرّمون الخوض في الكلام، وإقامـة الدلائل العقليّة على العقائـد الإسلاميّة، ويكتفون بظواهر النصوص والأحاديث، ولكنّ الأشعريّ بعد براءتـه من الاعتـزال وجنوحه إلى منهـج أهل الحديث، كتـب رسالة خاصّة في استحسان الخوض في الكلام.

٢ ـ أفعال العباد مخلوقة للّه عزَّ وجلَّ، ونظريّة الكسب

إنّ مـن آراء الأشعـريّ، عمـوم إرادة اللّه سبحانـه لكلّ شـيء، ويُعدُّ ذلك من المسائل الرئيسة في مذهبه، وحاصله: أنّ كلّ ما في الكون من جواهر وأعراض

حتّـى الإنسان وفعله، مـراد لله سبحانه، تعلّقت إرادته بوجـوده، وليس شيء في صفحـة الوجـود خارجاً عـن سلطان إرادتـه، ولا يقع شيء من صغيـر وكبير إلّا بإرادة منه سبحانه.

وهذا الأمر أدّى به إلى أنْ يلتزم بأنّ الأفعال الصادرة من الإنسان بإرادة منه كالإيمـان والكفر والطاعات والمعاصي هـي تحت الإرادة الإلهيّة، فإذاً هو مجبر على فعلها غير مختار لها بتمام معنى الكلمة.

ولـذا خرج الأشعـريّ بنظريّة جديدة للفرار من مشكلـة الثواب والعقاب على الفعل المجبر عليه الإنسان، وهي نظرية الكسب فقال: الله هو الخالق، والعبد هو الكاسـب، وملاك الطاعة والعصيان، والثواب والعقاب هو «الكسب» دون الخلق، فـكلّ فعل صادر عن كلّ إنسـان مريد، يشتمل على جهتيـن «جهة الخلق» و«جهة الكسب» فالخلق والإيجاد منه سبحانه، والكسب والاكتساب من الإنسان.

٣ ـ رؤية الله بالأبصار في الآخرة

ذهب الأشعريّ إلى أنّ الله عزَّ وجلَّ موجود، وكلّ موجود يصحُّ أنْ يُرى.

فقـال في كتابه «الإبانة»: **«وندين بأنَّ الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصـار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون»**[1].

واستدل لإثبات ذلك ببعض الآيات نحو قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَـا نَاظِرَةٌ﴾[2]. والأشاعرة ترى أنّ الأصل حمل النصوص على الحقيقة. فلا بُدَّ من حمل هذه الآيات على معناها الحقيقيّ.

٤ ـ إنكار الحسن والقبح العقليّين

يرى الأشاعرة أنّ الحسَنَ هو ما يفعله الله عزَّ وجلَّ والقبيح هو ما لا يفعله. أي

(١) المذاهب الإسلامية، السبحاني، ص ٥٦، عن الإبانة، ص ٢١.
(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٧.

أنّ الله له أنْ يُعذِّب الأطفال في الآخرة ويكون في فعله ذلك عادلاً. كما أنّ له أنْ يُدخـل المؤمنين النار ويُدخل الكافريـن الجنّة لأنّه المالك لكلِّ شيء ولا يوصف أيٌّ فعل بالقبح حتّى يتركه.

ويلاحـظ عليه: أنّــه إذا رأى الأشعريّ طفله يُعذّب في الآخـرة بألوان العذاب، دون ذنـب اقترفه أو جريرة أقدم عليها، أو عُذِّب بنفسه من الباري سبحانه وهو مؤمـنٌ بـالله غير مستحقّ للعقاب، هـل يجد ذلك عين العـدل، أم أنّه في قرارة نفسه يجده أمراً منكراً؟

ثانياً، هم افترضوا هذه النظريّة لاعتقادهم أن حكم العقل بالحسن والقبح حكم على الله وسطوةٌ عليه سبحانه، وبالتالي أنكروه، لكنّ الصحيح أن الله سبحانه وضع وجعل قدرة التمييز بين الحسن والقبح في العقل غاية الأمر أنّ العقل كاشف عن الحُسن والقبح وليس فارضاً له على الله عزَّ وجلَّ.

فالله قادر على فعل القبح ولكنّه لا يفعله لأنّه حكيم والحكيم لا يصدر عنه إلّا كلّ فعل حسن.[١]

٥ ـ كلام الله سبحانه وتعالى

أجمـع المسلمون تبعاً للكتاب والسنّة علـى كونه سبحانه مُتكلِّماً، وقد قيل بأنّ البحث في كلامه سبحانه أوّل مسألة طُرحت على بساط المناقشات في تاريخ علم الكلام، وإنْ لم يكن ذلك أمراً قطعيّاً بل ثبت خلافه، وقد شغلت تلك المسألة بال العلماء والمفكّرين الإسلاميّين في عصر الخلفاء، وحدثت بسببه مشاجرات، بل مصادمات دامية ذكرها التاريخ وسجّل تفاصيلها، وخاصّة في قضيّة ما يُسمّى بـ «**محنـة خلق القـرآن**» وكان الخلفاء هم الّذين يُروِّجون البحث عن هذه المسألة ونظائرها حتّى ينصرف المفكّرون عن نقد أفعالهم وانحرافاتهم.

(١) راجع: المذاهب الإسلامية، السبحاني، ص ٥٢ – ٥٥.

محلّ الخلاف

ثمّ إنّ الخلاف في كلامه سبحانه واقع في موضعين:

الأوّل: ما هي حقيقة كلامه سبحانه؟ وهل هو من صفات ذاته كالعلم والقدرة والحياة، أو من صفات فعله كالإحياء والإماتة والخلق والرزق إلى غير ذلك من الصفات الفعليّة؟

الثاني: هل هو قديم أم حادث، مخلوق أم غير مخلوق؟ والاختلاف في هذا المقام من نتائج الاختلاف في الموضع الأوّل.

فذهب أبو الحسن الأشعريّ إلى كونه من صفات الذات، لا بالمعنى الّذي تتبنّاه الحنابلة، بل بمعنى آخر، وهو القول بالكلام النفسيّ القائم بذات المتكلّم.

توضيحه

في مورد كلّ كلام صادر من أيّ متكلّم ـ خالقاً كان أو مخلوقاً ـ وراء العلم في الجمل الخبريّة، ووراء الإرادة والكراهة في الجمل الإنشائية، معاني قائمة بنفس المتكلّم، وهو الكلام النفسيّ، يتبع حدوثه وقدمه، حدوث المتكلّم وقدمه.

وقال أبو الحسن الأشعريّ: ونقول إنّ القرآن كلام الله غير مخلوق وإنّ من قال بخلق القرآن فهو كافر.

قال الأشعريّ: وممّا يدلّ من كتاب الله على أنّ كلامه غير مخلوق قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب أن يكن مقولا له: «كن فيكون»[2].

ويلاحظ عليه: إنّ الاستدلال مبنيّ على كون الأمر بالكون في الآية أمر لفظيّ مولّف من حروف وأصوات وأنّه سبحانه يتوسّل عند خلق السماوات والأرض

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

(٢) الإلهيّات، السبحاني، ج١، ص ٢١٢، نقلاً عن الإبانة، ص ٥٢-٥٣.

باللفظ، فيخاطب المعدوم بكلمة «كُنْ». ولا شك أنّ هذا الاحتمال باطل، إذ لا معنى لخطاب المعدوم، وحقيقة الموضوع أنّ الأمر في الآية أمرٌ تكوينيّ معبّر عن الإرادة لإيجاد الشيء، ويفسّر أمير المؤمنين عليه السلام الأمر التكوينيّ بقوله: **«يقول لما أراد كونه، فيكون. لا بصوت يُقرع ولا بنداء يُسمع، وإنّما كلامه سبحانه فعلٌ منه، أنشأه ومثّله، لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً»**[1].

أهمّ شخصيّات المذهب الأشعريّ

١ ـ القاضي أبو بكر الباقلاني (المتوفّى ٤٠٣هـ)

هو أبو بكر محمّد الطيّب بن محمّد القاضي المعروف بابن الباقلاني، وليد البصرة وساكن بغداد.

والباقلاني نسبه إلى الباقلاء (الفول).

ويظهر من فهرس تآليفه أنّه كان غزير الإنتاج وكثير التأليف، فقد ذُكر له اثنان وخمسون كتاباً، غير أنّه لم يصل إلينا من هذه إلّا بعضها ككتاب إعجازَ القرآن.

٢ ـ أبو منصور عبد القاهر البغداديّ (المتوفّى ٤٢٩هـ)

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغداديّ، أحد العلماء البارزين في معرفة الملل والنحل، وكتابه **«الفَرق بين الفرق»** من الكتب المعروفة في هذا المجال، ويُعدّ سنداً وثيقاً لمعرفة المذاهب الإسلاميّة.

٣ ـ إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينيّ (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)

هو عبد الملك بن الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أبي يعقوب الجوينيّ.

وهو المعروف بالفقيه الشافعي، ولد في جوين (من نواحي نيسابور)، له رسالة اسمها: **النظاميّة**.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

٤ـ حجّة الإسلام الإمام الغزاليّ (٤٥٠ـ ٥٠٥هـ)

الإمــام زين الديــن حجّة الإسلام أبــو حامد محمّد بن محمّــد بن محمّد بن أحمد الطوسيّ الشافعيّ، تتلمذ على إمام الحرمين ثمّ ولّاه نظام الملك التدريس في مدرسته ببغداد.

٥ـ أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ (٤٧٩ـ ٥٤٨هـ)

الشهرستانــيّ، أحــد المهتمّين بدراســة المذاهب والشرائــع، ويُعدّ شخصيّة ثالثة بين الأشاعرة في معرفة الملل والنِّحل.

٦ـ الفخر الرازي (٥٤٣ـ ٦٠٦هـ)

محمّــد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمــيّ البكريّ أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته ولد فيها سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وتوفّي في «**هراة**» من نواحي خراسان سابقاً وهي في أفغانستان اليوم سنة ست وستمائة.

إنّ الــرازي كان كثيــر الإنتاج، وقد طُبِع قسم من آثــاره نذكر منها ما له صلة بالموضوع:

١. «**أسـماء الله الحسـنى**» وهــو المسمّــى «**لوامــع البيّنات**» وهو كتــاب يُفسِّر الأسماء بين التشبيه والتعطيل.

٢. «**مفاتيـح الغيـب**» في ثمان مجلّدات كبار في تفسيــر القرآن الكريم، وهو مشحــون بالأبحاث الكلاميّة في مختلف الأبــواب، ويُناضل فيه المعتزلة، وينصــر الأشاعرة، ويردّ فيه على سائر الطوائف، وله مع الشيعة الإماميّة في الكتاب مواقف تحكي عن عناده ولجاجه.

٣. «**محصّـل أفـكار المتقدّميـن والمتأخّريـن مـن العلمـاء والحكمـاء والمتكلّميـن**» وقد لخّصه المحقّق الطوسيّ وأسماه «**تلخيص المحصّـل**»

ونقد منهجه في كثير من الموارد، وقد طُبع حديثاً أيضاً.

٤. «**المباحث المشرقيّة**» في جزءين جمع فيه آراء الحكماء والسالفين ونتائج أقوالهم وأجاب عنها.

خلاصة الدرس

ترجع بدايات الأشاعرة إلى أهل الحديث إلّا أنّ أهل الحديث كانوا لا يعتمدون على العقل إطلاقاً، وأمّا الأشاعرة فقد اعتمدوا على الأدلّة العقليّة في علم الكلام بالإضافة إلى السنّة.

أدّى الدعم السياسيّ السلطويّ لمذهب الأشاعرة إلى انتشار هذا المذهب، وهو ما يُدين به المسلمون من أهل السنّة بشكل عامّ في عالمنا المعاصر.

أهمُّ معتقدات الأشاعرة: ١ ـ الاعتماد على العقل مقابل أهل الحديث. ٢ ـ نسبة الصفات إلى الله كاليد والرجل ولكن دون كيف. ٣ ـ نظريّة (الكسب) وأنّ أفعال العباد مخلوقة من الله عزَّ وجلَّ ٤ ـ رؤية الله بالأبصار في الآخرة. ٥ ـ إنكار الحسن والقبح العقليّين. ٦ ـ أنّ كلام الله قديم وليس مخلوقاً.

أهمُّ شخصيّات الأشاعرة:

١ ـ القاضي أبو بكر الباقلاني.

٢ ـ أبو منصور عبد القاهر البغداديّ.

٣ ـ عبد الملك بن عبد الله الجوينيّ.

٤ ـ الإمام الغزالي.

٥ ـ محمّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ.

٦ ـ الفخر الرازي.



١. من هو مؤسّس المذهب الأشعريّ؟

٢. اذكر ثلاثة من معتقدات المذهب الأشعريّ.

٣. وضّح عقيدة الأشاعرة في كلام الله تعالى.

٤. عدّد ثلاثة من شخصيّات المذهب الأشعريّ.



الأشاعرة

مناظرات الأشعريّ مع الجبائي قبل رجوعه عنه

إنّ الأشعريّ هو خرّيج منهج المعتزلة وتلميذ شيخها أبي عليّ الجبائي، ومع ذلك ينقل ابن عساكر عن أحمد بن الحسين المتكلّم أنّه قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: إنّ الشيخ أبا الحسن (الأشعريّ) لمّا تبحّر في كلام الاعتزال وبلغ غايته، كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد جواباً شافياً، فيتحيّر في ذلك، وقد حفظ التاريخ بعض مناظراته مع أستاذه أبي عليّ الجبائي، منها:

الأشعريّ: أتوجب على الله رعاية الصلاح أو الأصلح في عباده؟

أبو عليّ: نعم.

الأشعريّ: ما تقول في ثلاثة إخوة: أحدهم كان مؤمناً برّاً تقيّاً، والثاني كان كافراً فاسقاً، والثالث كان صغيراً فماتوا؛ كيف حالهم؟

الجبائي: أمّا الزاهد ففي الدرجات، وأمّا الكافر ففي الدركات، وأمّا الصغير ففي أهل السلامة.

الأشعريّ: إنْ أراد الصغير أنْ يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟

الجبائـــي: لا، لأنّــه يُقال لــه: إنّ أخاك إنّمــا وصل إلى هــذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

الأشعــريّ: فإنْ قال ذلك الصغير: التقصير ليســ منّي، فإنّك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

الجبائـــي: يقول الباري جــلّ وعلا: كنت أعلم أنّك لو بقيــت لعصيت، وصرت مستحقّاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك.

الأشعــريّ: لــو قال الأخ الكافر: يــا إله العالمين، كما علمــت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟

الجبائي: إنّك مجنون.

الأشعريّ: لا بل وقف حمار الشيخ في العقبة[1]!!

(١) بحوث في الملل والنحل، السبحاني، ج٢ ص١٦.





الدرس الرابع

السلفيّة وأهل الحديث



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مبدأ نشوء السلفيّة وتطوّرها.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ معتقدات السلفيّة.



تمهيد

مفردة السلفيّة مأخوذة من مفردة (سَلَف)، والسلف عبارة عن جماعة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، حيث تُعدُّ اجتهاداتهم في الأصول والفروع أسوة للآخرين، ويجب التمسُّك بها. ويعتمد أتباع السلفيّة على رواية رواها عبد الله بن مسعود عن النبيّ ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[1].

فالسلفيّة على أساس هذه الرواية تعتمد على أقوال السلف واجتهاداتهم ولا يخرجون عنها أبداً. ولذا سمّوا بـ (الخيريّة) لهذه الرواية أيضاً.

ومن الحنابلة تفرّعت السلفيّة أتباع ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨ هـ). ومن السلفيّة تفرّعت الوهّابيّة أتباع محمّد بن عبد الوهّاب (ت: ١٢٠٦ هـ).

تجديد الدعوة السلفيّة في القرن الثامن

لقد اهتمَّ بعض الحنابلة ومنهم أحمد بن تيميّة الحرّاني الدمشقيّ (المتوفّى عام ٧٢٨هـ). بإحياء مذهب السلفيّة على المفهوم الّذي كان رائجاً في عصر الإمام أحمد وقبله وبعده إلى ظهور الأشعريّ، فأصرّ على إبقاء

(١) السلفيّة، البوطي، ص١١.

أحاديث التشبيه والجهة بحالها من دون توجيه وتصرُّف، وهاجم التأويلات الّتي ذكرها بعض الأشاعرة في كتبهم حولٍ تلك الأحاديث. ولكنّه لم يكتفَ بمجرّد الإحياء، بل أدخل في عقائد السلف أُموراً لا ترى منها أثراً في كتبهم، فعدَّ السفر لزيارة الرسول الأعظم ﷺ بدعة وشركاً، كما عدّ التبرّك بآثارهم والتوسّل بهم شيئاً يُضاد التوحيد في العبادة. وقد ضمّ إلى ذينك الأمرين شيئاً ثالثاً وهو إنكار كثير من الفضائل الواردة في آل البيت عليهم السلام، المرويّة في الصحاح والمسانيد حتّى في مسند إمامه أحمد. وبذلك جدّد الفكرة السلفيّة الخاصّة المتبلورة في الفكرة العثمانيّة التي تعتمد على التنقيص من شأن عليٍّ عليه السلام وإشاعة بغضه وعناده.

الدعوة السلفيّة في القرن الثاني عشر

جاء الدهر بمحمّد بن عبد الوهّاب النجديّ في القرن الثاني عشر (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ) فحذا حذو ابن تيميّة، وأخذ وتيرته واتّبع طريقته، فأحيا ما دثره الدهر، ودعا إلى السلفيّة من جديد، غير أنّه اتّخذ ما أضافه ابن تيميّة إلى عقائد السلف ممّا لا يرتبط بمسألة التوحيد والشرك، كالسفر إلى زيارة النبيّ ﷺ والتبرُّك بآثاره، والتوسّل به، وبناء القبّة على قبره، قاعدة أساسيّة لدعوته، ولم يهتمّ في تآليفه بمسألة التشبيه وإثبات الجهة والفوق.

أهمُّ عقائدهم

١. إجماع الصحابة وعدالتهم

ذهب ابن تيميّة إلى أنّ الصحابة لا يجتمعون على الخطأ، وقولهم كقول النبيّ ﷺ لا يحتمل الخطأ، لهذا جعل قولهم بمثابة قول النبيّ ﷺ، وفي هذا المجال يقول ابن تيميّة: «**إنّ إجماع الصحابة لا يكون إلّا معصوماً فالحقّ لا يُجاوزهم**

أبـداً»[1]. وعليــه فــإنّ علينا الرجوع إلى فهــم الصحابة من السلــف، فنأخذ بما اتّفقوا وأجمعوا عليه ونقف فيما اختلفوا فيه، فيكون فهمهم حجّة علينا.

ويستــدلّ البعض على عدالة الصحابة بما يــروون عن الرسول ﷺ أنّه قال: «**أصـحابي كالنجـوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتـم**»[2]. وهذا الحديث لا يصحّ عند أهل السنة أنفسهم. يقول ابن تيميّة: «**وحديث أصـحابي كالنجوم، ضـعّفه أئمّة الحديث، فلا حجّة فيه**»[3].

وقــد أخرج البخــاري في حديث عــن النبيّ ﷺ أنّه قــال: «**أنـا فرطكم على الحوض. ليرفعـنّ إليّ رجال منكم، حتّى إذا أهويـت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّ، أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[4].

مع العلم أنّه وفي أثناء حياة رسول الله ﷺ كان هناك تكتّل كبير وقويّ يُعرف بالمنافقيــن، وهــؤلاء من الصحابــة الّذين شاهدوا وعاصــروا النبيّ ﷺ، وهل يعقل أن يكون هؤلاء من المعصومين عن الخطأ ومن الّذين يُؤخذ بحديثهم؟

وقد حدّثنا القرآن عن نوعين من المنافقين:

أ. المنافقون المعروفون

المنافقون المعروفون بالنفاق الّذين نزلت في حقّهم سورة المنافقين، قال سبحانــه: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[5].

فهذه الآيات تُعرب بوضوح عن وجود كتلة قويّة من المنافقين بين الصحابة آنذاك، وكان لهم شأن، فنزلت سورة قرآنيّة كاملة في حقّهم.

(١) الفرقان بين الحقّ والباطل، ابن تميمة، ج٢٠، ص٧٥.
(٢) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، ومسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٣٩٨.
(٣) المنتقى، الذهبي، ص٥٥١.
(٤) صحيح البخاري، ج ٩، ص ١٤٤.
(٥) سورة المنافقون، الآية: ١.

ب. المنافقون المختفون

تدلّ بعض الآيات على أنّه كانت بين الأعراب القاطنين خارج المدينة ومن نفس أهل المدينة، جماعة مَرَدوا على النفاق، وكان النبيُّ الأعظم ﷺ لا يعرف بعضهم، ومن تلك الآيات قوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[١].

ثمّ إنّ التاريخ يُحدِّثنا عن أخطاء وقع فيها بعض الصحابة، وعن حروب نشبت بينهم، وهذا يدلُّ على أنّ الصحابة يُخطئون، وإلّا لما اختلفوا.

٢ - التجسيم

وصف ابن تيميّة الله عزّ وجلّ وصفاً دقيقاً كمن قد رآه بالعين المجرَّدة، ونسب له صفات وتشابيه هي صفات المخلوقين، فيجوّز على الله الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكّن، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ونحو ذلك، ومع هذا ليس كمثله شيء لا يُشبه شيئاً من المخلوقات ولا يُشبهه شيء[٢]. كذلك يجوز على الله أن يُرى يوم القيامة ويُشاهده كلّ الناس كالشمس في رابعة النهار.

وفي هذا التصوّر من التجسيم أمور لا تليق بساحته تعالى، فالّذي ينتقل من مكان إلى مكان، وينزل ويصعد فلا بدّ أنّه كان أوّلاً في مكان ثمّ انتقل إلى مكان آخر فخلا منه المكان الأوّل واحتواه المكان الثاني، والّذي يحويه المكان لا يكون إلّا محدوداً! والله تعالى لا يحدّه شيء.

ونذكر في المقام ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما جاءه رجل فقال له: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا مثلما نراه عياناً، لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام وجمع الناس في المسجد وخطب خطبته الشهيرة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٢) كتاب الإيمان، والرسالة الواسطية من الرسائل التسع، ابن تيمية، ص١٢٦.

المعروفة بخطبة الأشباح، فوصف الله تعالى بما هو أهله، فقال: «الحمد لله الّذي لا يَغرُهُ[1] المنعُ والجمود، ولا يُكديه[2] الإعطاء والجمود... الأوّل الّذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الّذي ليس له بَعدٌ فيكون شيء بعده، والرّادعُ أنَاسِيَّ[3] الأبصار عن أن تناله أَو تُدركه...

ثمّ قال: **«فانظر أيّها السائل: فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به، واستضئ بنور هدايته، وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضُه ولا في سنّة النبيّ ﷺ وأئمّة الهدى أثره، فَكِلْ علمه إلى الله سبحانه»[4].**

٣ - التوسُّل بالنبيّ ﷺ

رفضت السلفيّة مبدأ التوسُّل بالنبيّ ﷺ رفضاً قاطعاً، حتّى أنّ من يستشفع بالنبيّ ﷺ يصل إلى حدّ الكفر والخروج عن الإسلام، وذهب ابن تيميّة وهو إمام السلفيّة إلى أنّ التوسُّل يقع في ثلاثة معانٍ:

١. التوسُّل بطاعة النبيّ ﷺ والإيمان به، وهذا هو أصل الإيمان والإسلام، ومن أنكره فكفره ظاهر للخاصّة والعامّة.

٢. التوسُّل بدعائه وشفاعته، أي أنّ النبيّ ﷺ هنا هو الّذي يدعو ويشفع مباشرة، وهذا كان في حياته ويكون هذا يوم القيامة حيث يتوسّل الناس بشفاعته، ومن أنكر هذا فهو كافر مرتد يُستتاب فإن تاب وإلّا قتل مرتدّاً.

٣. التوسُّل بشفاعته بعد موته والإقسام على الله بذاته وهذا من البدع المُحدَثة[5].

(١) لا يغره: لا يزيد ما عنده من البخل والجمود وهو أشدّ البخل.

(٢) يكديه: يفقره.

(٣) أناسي جمع إنسان، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازاً عنها في لونها.

(٤) نهج البلاغة، شرح د. صبحي الصالح، ١٢٤، خطبة ٩١.

(٥) قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة، ابن تيمية، ص١٢- ٢٠- ٥٠.

٤ - زيارة قبور الأنبياء والصالحين عليهم السلام

حرمة التوسُّل وزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام والصالحين من أعمدة العقائد عند السلفيّة، وذلك لأنّهم تمسّكوا بها وأكثروا الكلام بمخالفة من يقول بها، ولابن تيميّة كتاب خاصّ في هذا المجال اسمه كتاب «**الزيارة**».

ونورد هنا ما ذكره في هذا الموضوع

يقول ابن تيميّة: «**الزيارة البدعيّة. أي المبتدعَة والّتي ليس لها أصل في الشريعة. فهي الّتي يُقصد بها أن يُطلب من الميّت الحوائج أو يُطلب منه الدعاء والشفاعة أو يُقصد الدعاء عند قبره؛ لظنّ القاصد أنّ ذلك أجوَبَ للدعاء، فالزيارة على هذه الوجوه كلّها مُبتدَعَة لم يُشرّعها النبيّ ولا فعلها الصحابة لا عند قبر النبيّ ولا عند غيره، وهي من جنس الشرك وأسباب الشرك، ولو قصد الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين لكان معرَّضاً لغضب الله ولعنته...**»[1].

خلاصة الدرس

- السلفيّة مشتقة من كلمة (سَلَف) والمراد منهم أتباع الصحابة الّذين يعتمدون على أقوال الصحابة واجتهاداتهم.
- تُنسب السلفيّة إلى أحمد بن حنبل وهو إمام المذهب الحنبليّ في الفقه.
- يُعتبر أحمد بن تيميّة مجدّد مذهب السلفيّة في القرن الثامن الهجري.
- يُعتبر محمّد بن عبد الوهّاب هو مجدّد السلفيّة الجديدة في القرن الأخير.

(١) كتاب الزيارة، ص ١٢، ١٤، ٣٨، ٣٩، التوسل والوسيلة، ابن تيميّة، ص ٢٤.

أهمّ عقائدهم

- يعتقدون بأنّ الصحابة لا يجتمعون على الخطأ، وأنّ قولهم حجّة والحقّ لا يجاوزهم أبداً.
- يقولون بالتجسيم وأنّ لله عين ورجل ويد وغيرها من الأعضاء.
- أنّ الله يُرى يوم القيامة بالعين ويُشاهده كل الناس.
- عدم جواز التوسّل بالنبيّ ﷺ ومن يفعل ذلك يُعدّ مشركاً.
- حرمة زيارة قبور الأنبياء والصالحين عليهم السلام.

الأسئلة

١. **من هو مؤسّس المذهب السلفي؟**
٢. **اذكر ثلاثة من معتقدات السلفيّين.**
٣. **وضّح عقيدة السلفيّة في التجسيم.**
٤. **وضّح عقيدة السلفيّة في التوسُّل بالنبيّ ﷺ.**

مطالعة

المفكّرون الإسلاميون المعاصرون والسلفيّة

من المؤسف أنّ السلفيّة اتخذت لنفسها في الآونة الأخيرة طابعاً حادّاً وسلوكاً في غاية الجمود و التحجّر... وإلى تحريم كلّ ما يتّصل بالحضارة ومعطياتها، فإذا بهم يُحرّمون حتّى التصوير الفوتوغرافي ويُهاجمون الراديو والتلفزيون عتوّاً وجهلاً.

وقد كان هذا الموقف المتحجّر، وهذا التزمّت والجفاف، وما رافقه من شدّة

على الآخرين ورميهم بالبدعة، والخروج على الدين بحجّة عدم الانقياد لمواقف السلف، وآرائهم، وراء ابتعاد جماعات كبيرة من الشباب من أبناء المسلمين عن الإسلام، وإساءة الظنّ به وبمؤسّساته. وهذا هو ما حدا ببعض الغيارى من المفكّرين الإسلاميّين إلى التصدّي لهذا الاتجاه الدخيل على الإسلام البعيد عن روحه النقيّة السمحة.

وممن انبرى لإبطال هذا المذهب وإزالة الغبار عن وجه الحقيقة الأُستاذ محمّد سعيد رمضان البوطيّ في كتابه «**السلفيّة مرحلة زمنيّة مباركة لا مذهب إسلاميّ**».

حيث قال: إنّ اتّباع السلف لا يكون بالانحباس في حرفيّة الكلمات الّتي نطقوا بها أو المواقف الجزئيّة الّتي اتخذوها، لأنّهم هم أنفسهم لم يفعلوا ذلك.

ثمّ قال: إنّ من الخطأ بمكان أن نعمد إلى كلمة (السلف) فنصوغ منها مصطلحاً جديداً طارئاً على تاريخ الشريعة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ ألا وهو (السلفيّة) فنجعله عنواناً مميّزاً تندرج تحته فئة معيّنة من المسلمين، تتّخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده، مفهوماً معيّناً، وتعتمد فيه على فلسفة متميّزة بحيث تغدو هذه الفئة بموجب ذلك، جماعة إسلاميّة جديدة في قائمة جماعات المسلمين المتكاثرة والمتعارضة بشكل مؤسف في هذا العصر، تمتاز عن بقيّة المسلمين بأفكارها وميولها، بل تختلف عنهم حتّى بمزاجها النفسيّ ومقاييسها الأخلاقيّة كما هو الواقع اليوم فعلاً.

بل إنّنا لا نعدو الحقيقة إنْ قلنا: إنّ اختراع هذا المصطلح بمضامينه الجديدة الّتي أشرنا إليها بدعة طارئة في الدين لم يعرفها السلف الصالح لهذه الأُمّة، ولا الخلف الملتزم بنهجه[1].

(١) انظر: الملل والنحل، السبحاني، ج١ ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣.



الدرس الخامس

الوهابيّة



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى نشأة الوهابيّة.

٢. أن يُعدِّد أهمّ معتقدات الوهابيّة.





النشأة والتأسيس

ترجع العقائد الوهابيّة إلى ما ابتدعه أحمد بن تيميّة في القرن الثامن الهجريّ، وقد كاد أنّ يصير نسياً منسياً، ويذهب أدراج الرياح، غير أنّ بذورها لمّا كانت تقبع في طيّات كتبه ورسائله، قام محمّد بن عبد الوهّاب بن سليمان التميميّ بتجديد العهد بها، الّذي ولد سنة ١١١١هـ وتوفّى عام ١٢٠٧هـ فيكون عمره حين وفاته ستّاً وتسعين.

نشأ وترعرع في بلده «العيينة» في نجد، وتلقّى دروسه بها على رجال الدِّين من الحنابلة، ثمّ غادر موطنه ونزل المدينة المنوّرة ليكمل دروسه.

وأمّا ابن تيميّة فهو أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم، من علماء الحنابلة توفّى سنة ٧٢٨هـ.

أهمّ عقائدهم

يرى الوهّابيّون أنّ جميع المسلمين - غيرهم - قد فسّروا التوحيد تفسيراً خاطئاً، وفهموه فهماً لا ينطبق على الواقع، ولا يُخرجه عن حقيقة الشرك، وعملوا بما فهموا . . إذن، جميع المسلمين مشركون، من حيث لا يريدون ولا يشعرون. «**فالإنسان عندهم لا يصير موحّداً بمجرّد أن يشهد ويعتقد بلا إله إلّا الله محمّد رسول الله، وبأنّ الله هو الخالق الرازق وحده، لا شريك له، وأنّه**

لا يـرزق إلّا هـو، ولا يدبّر الأمـر إلّا هو، وبأنّ جميع السـماوات والأرض، ومن فيهنّ، والأرضـين السـبع، ومن فيها، كلّهم عبيد، وتحت تصـرّفه.. كلّ ذلك لا يُفيد، ولا يجعل الإنسان موحّداً ولا مسلماً.

وكمـا لا تنفـع كلمـة الشـهادة كذلك لا تنفع كثـرة العبـادة، ولا الإيمان بأنّ محمّداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا قول الإنسان: أنا مذنب، والأنبياء لهـم جـاه عند الله، وأتوسّـل بهـم إليه تعالى، كـي يعفو ويصـفح»[1] كلّ ذلك، وغير ذلك لا يجعل الإنسان موحّداً ولا مسلماً إلّا أن يترك أموراً معيّنة ومنها:

١ - التوسُّل

إنّ التوسُّل بالأنبياء والأولياء عليهم السلام في حال حياتهم أو بعد وفاتهم من الأمور الرائجـة بين الموحِّدين في جميع أزمنتهـم، إلّا أنّ الوهّابيّة اعتبرت التوسّل من مظاهـر الشرك، وعلـى الإنسان المؤمـن «**أن لا يتوسّـل إلى الله بأحـد أنبيائه وأوليائه، فإن فعل، وقال - مثلاً: يا الله أتوسّل إليك بنبيّك محمّد أن ترحمني فقد سلك مسلك المشركين، واعتقدَ ما اعتقدوا**»[2].

٢ - زيارة القبور

اتّفق المسلمون على استحباب زيارة القبور لما فيه من فوائد تربويّة وتذكيريّة ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه المعروف حيث قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروهـا فإنّهـا تُزهِّـد في الدنيا وتُذكِّـر الآخرة**»[3] وقد اتّفـق المسلمون أيضاً علـى استحبـاب زيارة قبر النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم خصوصاً، وأفضل دليـل على ذلك سيرة المسلمين منذ وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، مضافاً إلى العديد من الروايات.

---

(١) رسالة التوحيد، ورسالة هذه أربع قواعد، ورسالة كشف الشبهات لمحمّد عبد الوهّاب، وفتح المجيد لحفيده، وتطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعانيّ وهو من أصحّ الكتب وأوثقها عند الوهّابيّة، وغير هذه الرسائل والمؤلّفات من كتبهم المعتبرة.

(٢) تطهير الاعتقاد، الصنعانيّ، ص٣٦ الطبعة الأولى، والرسائل العمليّة التسع، ابن تيميّة، ص ٤٥ وما بعدها طبعة ١٩٥٧.

(٣) سنن ابن ماجه،ج١،ص٥٠١، باب ما جاء في زيارة القبور.

منهـا مـا ورد عـن النبيّ ﷺ حيـث قال: «**مـن زار قبري كنـت له شـفيعاً أو شـهيداً، ومن مات في إحدى الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة**»[1].

وفي حديث آخر قال ﷺ: «**من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن مات بإحدى الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة**»[2].

ومـع هذا فقد رفضت الوهّابيّـة مبدأ زيارة القبور حيث قالوا: «**أن لا يقصـد الإنسـان المسـلم قبر النبيّ للزيارة، ويشـدّ إليه الرحال، وأن لا يتمسّـح به، ولا يمسّـه، ولا يدعـو الله ويُصـلّي لله عنـده، ولا يُقيـم عليه بناءً ولا مسـجداً، ولا ينـذر لـه**»[3] محتجّين بأنّ النبيّ ﷺ بعـد موته لا يضرّ ولا ينفع، فيجب على الإنسان أن يقصد الله وحده ويطلب منه دون سواه، متجاهلين في ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[4] وهل هناك وسيلة إلى الله أفضل من النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام؟

٣ - الشفاعة

اتّفق المسلمون عامّة على شفاعة النبيّ الأكرم ﷺ يوم القيامة، وإن اختلفوا في معنى الشفاعة بين كونها سبباً لغفران الذنوب كما عليه الأشاعرة والإماميّة وأهل الحديث، أو لترفيع الدرجة كما عليه المعتزلة. إنّما الكلام في طلب الشفاعة من النبيّ ﷺ في حال حياته ومماته، فالمسلمون إلى عهد ابن تيميّة اتّفقوا على جـوازه حيّاً وميّتـاً، وهو من فروع طلب الدعاء من المشفـوع له، إلى أن جاء ابن تيميّـة في القرن الثامن الهجريّ ورفع راية الخـلاف بين المسلمين، وقال: «**أن لا يطلب الإنسـان المسـلم الشفاعة من النبيّ، لأنّ الله، وإن أعطاها لمحمّد**

(١) كنز العمّال، المتقي الهنديّ، ج٥، ص ١٢٥. السنن الكبرى، البيهقي، ج٥، ص٢٤٥.

(٢) م.ن، كنز العمال.

(٣) تطهير الاعتقاد، الصنعانيّ، ص ٣٠ و ٤١، ونقض المنطق لابن تيميّة ص ١٥ طبعة ١٩٥١، وفتح المجيد ص ٢٣٩ طبعة ١٩٥٧، واقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم لابن تيميّة ص ٣٦٨ طبعة ١٩٥٠. وفي صفحة ٤٠٤ من هذا الكتاب «وإن كان المصلي لا يصلي إلّا لله، ولا يدعو إلّا الله «فإنّه مشرك».

(٤) سورة المائدة: الآية: ٤٠.

ﷺ وغيره من الأنبياء، ولكنّه نهى عن طلبها منهم ومن طلب الشفاعة من محمّد كان كمن طلبها من الأصنام سواء بسواء»[1].

والجـواب عنـه: أنّه لا يُتصوّر أن يكون طلب الدعاء من المؤمن أو الصالح أو الأنبياء العظام عليهم السلام شركاً، سواء أكانوا أحياءً أمْ أمواتاً، أمّا الأحياء فقد صرَّح القرآن الكريم بجوازه، وأمر الظالمين بالمجيء إلى النبيّ ﷺ وطلب الاستغفار منــه. قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَـاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُـولُ لَوَجَـدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2]. وحكى عن ولد يعقــوب أنَّهم قالوا لأبيهم ﴿يَـا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَـا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِـرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

إضافة إلى أنّ هناك روايات تُشير إلى جواز طلب الشفاعة، منها:

عن أنس أنّه قال: «**سألت النبيّ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أنا فاعل. قُلـت: فأيـن أطلبك؟ قال: على الصـراط...**»[4] ولـو كان طلب الشفاعة شركاً، لزجره عنه.

هــذا في حال حيــاة النبيّ ﷺ أمّا بعد وفاته فقــد روى الطبرانيّ في معجمه الكبيــر من حديــث عثمان بن حنيف «**أنّ رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان (رض) فـي حاجـة لـه فكان لا يلتفـت إليـه ولا ينظر فـي حاجتـه، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال عثمان بن حنيف: ائت الميضـاة فتوضّـأ ثمّ ائت المسـجد فصـلِّ ركعتين ثمّ قل: اللهمّ إنّي أسـألك وأتوجّه إليك بنبيّنا محمّد ﷺ نبـيّ الرحمـة، يا محمّـد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي فتقضـي حاجتي، وتذكر حاجتك. فانطلق الرجل فصـنع ما قال له ثمّ أتى باب عثمان بن عفّان فجاءه**

(١) الرسائل العمليّة التسع، ابن تيميّة، ص ١١٠ ، و ١١٤ .
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٩٧ـ٩٨.
(٤) أبو الفضل السيد أبو المعاطي النوريّ، المسند الجامع، ج٣، ص١٧.

البوّاب فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثمّ قال له ما ذكرت حاجتك حتّى كانت الساعة وقال ما كان لك من حاجة فاذكرها»(١).

٤ - الاستغاثة بالنبيّ ﷺ

اعتقدت الوهّابيّة أنّ الاستغاثة بالنبيّ ﷺ شرك، ولا يجوز مناداته والاستعانة به بأيِّ حال من الأحوال، حيث قالوا: «**أن لا يحلف بالنبيّ، ولا يُناديه، ولا ينعته بسيّدنا، كأن يقول: بحقّ محمّد، ويا محمّد، وسيّدنا محمّد، بل الحلف بالنبيّ وغيره من المخلوقات هو الشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار**»(٢)، وقال ابن مسعود: «**لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً**»(٣) لأنّ الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر، ولكنّ الشرك - أي الحلف بغير الله - أكبر من الكبائر.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار.

وذُكر أيضاً أنّ محمّد بن عبد الوهّاب كان يقول عن النبيّ ﷺ: «**أنّه طارش** (يعني الرسول في الحاجة)، وأنّ **بعض أتباع هذا الشيخ كان يقول: عصاي هذه خير من محمّد، لأنّه يُنتفع بها في قتل الحيّة، ومحمّد قد مات، ولم يبقَ فيه نفع، وإنّما هو طارش ومضى**»(٤). هذا هو الكلام الّذي يهتزّ منه العرش وتتفطّر السماوات، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال منه.. وإذا كانت العصى خيراً من محمّد ﷺ فلماذا يجب حبّه وطاعته، والإيمان به؟. ولماذا نُكرِّر الصلوات والتحيّات عليه في الصلوات الخمس، ويُقرن اسمه باسم الله على المآذن والمنابر، ويُحتجُّ

(١) تحقيق النصرة ص ١١٤ - ١١٥. رواه عن الطبراني في معجمه الكبير.
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد،سليمان بن عبد الوهّاب حفيد محمّد عبد الوهّاب، ص ٤١٤، طبعة ١٩٥٧.
(٣) الصواعق الإلهيّة، سليمان بن عبد الوهّاب، ص١٤٤.
(٤) كشف الارتياب، السيد الأمين، ص ١٢٧ الطبعة الثانية، نقلا عن خلاصة الكلام صفحة ٢٣٠.

بقولـه في كلِّ علم وفن؟. وبالتالي، فـأيّ معنى لقوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[١]. و تُعزّروا النبيّ ﷺ أي تنصرونـه، وتوقِّرونه أي تُعظِّمونه، وتُسبّحوه بكرة وأصيلاً أيُّ تذكرونه في تسبيحكم وصلواتكم بالتحيّات..

وأيضـاً أيُّ معنـى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٢].

وعليـه فإنّ علـى الإنسان المسلم أن يلتزم بما ذُكر أعـلاه التزاماً وثيقاً، وإلّا كان مشـركاً منكـراً للتوحيـد قال ابن تيميّـة: «**إنّ ترك هـذه الأمور، ومـا إليها يتّصل اتّصالاً وثيقاً بمفهوم التوحيد، ومن فعلها فهو مشرك يحلّ دمه وماله وذراريه، سواء أفعلها عن علم بتحريمها، أو جهلاً واشتباهاً، لأنّ فعلها يُفضي إلى تكذيب الرسول، وإن لم يتعمّد الفاعل مُنكراً**»[٣].

وليس من شكّ أنّهم عدّوا عدم زيارة النبيّ ﷺ وطلب الشفاعة منه شرطاً في التوحيد، ولم يعدّوا قتل النفس المحترمة والزنى واكتناز الذهب من منافيات التوحيد والإيمان.

٥ - في صفات الله

يجمد الوهّابيّون على ظاهر نصوص الكتاب والسنّة في صفات الله سبحانه، ولـم يُجيـزوا تفسير الظواهر وتأويلهـا بغير ما دلّت عليه الصـورة الحرفيّة، بل يعتبـرون التأويل كفراً، لأنّه كـذب على الله والرسول، ويـرون تنزيه الله بإثبات اليـد له والرجل، والكـفّ والأصابع، والنفس والوجه، والعيـن والسمع، والجلوس

(١) سورة الفتح:الآية: ١٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٣) الرسائل العمليّة التسع، ابن تيميّة، ص ٧٩ .

والوقـوف، والضحك والتكلُّم، والوجـود في السماء، وما إلــى هذه من الصفات الّتي وصف اللّه بها نفسه، أو جاءت على لسان نبيّه من غير زيادة ولا نقصان.

واستدلّوا على اليدين بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[١].

وعلى العينين أو العيون: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٢].

وعلى الجلوس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٣].

وعلى الوجود في السماء: ﴿ءأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[٤].

وعلى الوجه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٥].

وعلى السمع والعين: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٦].

وعلى النظر إليه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٧].

وعلى السير والمجئ: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[٨].

وعلى النفس ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[٩].

وعلــى الضحك بمــا رواه ابن تيميّــة[١٠]: «**إنّ الله ضـحك إلى رجليـن، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنّة. . وأيضاً قد ضحك حين دخل آخر رجل إلى الجنّة، فقال له الرجل: أتسخر بي، وأنت رب العالمين؟**»[١١].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.
(٢) سورة هود، الآية: ٣٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الملك، الآية: ١٧.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٥.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٧٦.
(٧) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.
(٨) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٩) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(١٠) كتاب الإيمان، ابن تيميّة، ص٢٣٠.
(١١) صحيح البخاري، ج٢، ص٢١٠، صحيح مسلم، ج١، ص١٧٤، ح١٨٧.

واستدلّوا على الرِّجل بما رواه ابن تيميّة أيضاً في الرسالة الواسطيّة[١]: «**لا تزال جهنّم يُلقى فيها، وهي تقول: هل من مزيد؟. حتّى يضع ربّ العزّة فيها رِجْلَه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط**»[٢].

واستدلّوا على وجود الأصابع بما رواه محمّد بن عبد الوهّاب في آخر كتاب التوحيد[٣]: «**إنّ الله جعل السماوات على إصبع من أصابعه، والأرض على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع.. ثمّ اعتزّ الله وافتخر، وقال: أنا الملك، أنا الله، أين الجبّارون؟ أين المتكبّرون؟**»[٤].

فالله يحمل السماوات السبع والأرضين السبع في يده، وهي فيها كحبّة خردل في يد أحدنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٥].

٦ - الجبر

قالت الوهّابيّة بالجبر بمعنى أنَّ الإنسان مجبرٌ في أفعاله، فالله خلق الإنسان وخلق أفعاله وكلّ ما يقوم به من خيرٍ أو شرٍّ.

قال ابن تيميّة: «**العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم.. وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم، ومع ذلك فقد أمرهم بالطاعة، ونهاهم عن المعصية**»[٦]. إنّ كلام ابن تيميّة ظاهر في أنّ الله خالق أفعال الإنسان، وغير خالقها، والإنسان موجد لأفعاله، وغير موجدها، ففي كلامه تناقض وتضارب. وكيف صحّ أن يأمرهم بالطاعة وينهاهم عن المعصية مع أن قدرتهم وإرادتهم هي من قدرة الله وإرادته؟ كذلك فإنّ

(١) الرسالة الواسطيّة: الموجودة في كتاب الرسائل التسع، ابن تيميّة، ص ١٣٦.
(٢) صحيح البخاري، ج٤، ص١٨٣٥، ح٤٥٦٧ و٤٥٦٨ و٤٥٦٩.
(٣) انظر رسالة التوحيد، ورسالة هذه أربع قواعد، ورسالة كشف الشبهات لمحمّد عبد الوهّاب، وفتح المجيد لحفيده، وتطهير الاعتقاد من أدران الالحاد للصنعانيّ وهو من أصح الكتب وأوثقها عند الوهّابيّة، وغير هذه الرسائل والمؤلفات من كتبهم المعتبرة.
(٤) البخاري، ج٤، ص، ١٨٣٥، ح٤٥٦٧، مسلم، ج٤، ص ٢١٨٦، ح ٢٨٤٨، ٢٨٤٨.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٦.
(٦) رسالة العقيدة الواسطيّة من الرسائل التسع، ابن تيميّة، ص ١٤٤.

الانبعاث إلى الطاعة والانزجار عن المعصية لا يتأتّى إلّا من فاعل مختار.

والحقّ في هذه المسألة الّتي شغلت الأوّلين والآخرين ما قاله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وعبّر عنه بقوله: «**لا جبر ولا تفويض، وإنّما أمر بين الأمرين**»[1].

وقد شرح الإمام الرضى عليه السلام معنى هذا القول عندما ذُكر عنده حيث قال: «**ألا أعلمكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ولا يُخاصمكم عليه أحد إلّا كسرتموه؟ قلنا إن رأيت ذلك، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يُطع بإكراه، ولم يُعصَ بغلبة ولم يُهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله منها صادّاً، ولا منها مانعاً وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل فعلوه، فليس هو الّذي أدخلهم فيه ثمّ قال** عليه السلام: **من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه**»[2].

٧ - الحاكم الجائر

يعتقد الحنابلة بما فيهم الوهّابيّة بأنّه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر، والمستبدّ الفاسد، ويوجبون طاعته والاستماع له، كما جاء في كتاب الأحكام السلطانيّة، وصاحبه حنبليٌّ المذهب. واستدلّوا بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3]. وتقريب ذلك أنّ الحاكم يصدق عليه أنّه من أولي الأمر الّذين فرض الله تعالى على العباد طاعتهم، لذلك لا يجوز الخروج عليه حتّى لو كان ظالماً غير مراع لأحكام الإسلام وتعاليمه، وزعموا أنّ الخروج على الحاكم المُستخفِّ بدين الله الجائر على عباد الله حرام، مستدلّين

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤، ص١٩٧.
(٢) التوحيد ص ٣٦١ الحديث ٧ من طبعة طهران، باب نفى الجبر والتفويض.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

بــأنَّ في الخروج تفريقاً لكلمة المسلمين واستبدال الخوف بالأمن، وبما رواه أبو بكـر عن الرسول ﷺ «**ســتكون فتنة القاعد فيها خير من الماشـي، والماشـي فيهـا خير من السـاعي، ألا فإذا نزلت أو وقعـت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومـن كان لـه غنـم فليلحـق بغنمه، ومـن كان له أرض فليلحق بأرضـه، فقال رجل: يا رسول الله من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يعمد إلى سيفه فيدقّ على حدّه بحجر**»[1].

٨ - الجاهل غير معذور

إذا خالــف الإنسان أمر الله عن جهالــة فإنّه يكون مبتدعاً، حتّى لو كان جهله عن قصور لا عن تقصير، وقالوا: «**إذا نطق المسـلم بكلمة التوحيد مؤمناً، ثمّ زار القبور جاهلاً بالتحريم يكون مشركاً، وجهله ليس بعذر**»[2].

والحقيقــة إنّ الجاهل على نوعين، جاهل مقصّــر وجاهل قاصر، فالأوّل غير معــذور مع قدرته علــى المعرفة والتعلُّم والالتــزام بما أمر الله، أمّــا الثاني فهو معــذور لعــدم معرفته أو عدم قدرتــه على الالتزام بما أمــر الله، قال رسول الله ﷺ: «**رُفع عن أمّتي تسـعة أشـياء: الخطأ، والنسيان، وما أُكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يُطيقون، وما اضـطّروا إليه، والحسـد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلوة ما لم ينطقوا بشفة**»[3].



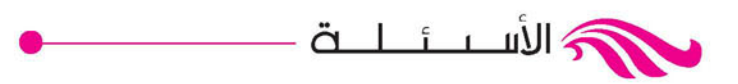
(١) صحيح مسلم،ج٨،ص١٦٩. مسند احمد،ج٥،ص٣٩. سنن ابي داوود،ج٢،ص٣٠٢،ح٤٢٥٦.
(٢) تطهير الاعتقاد، ص ٣٥. والرسائل العمليّة التسع، ص ٧٩.
(٣) الوسائل، العامليّ،ج١٥،ص٣٦٩.

خلاصة الدرس

- ترجع العقائد الوهّابيّة إلى ما ابتدعه أحمد بن تيميّة في القرن الثامن الهجريّ، وقام محمّد بن عبد الوهّاب بتجديد العهد بها.

أهم عقائد الوهابيّة:

- اعتبرت التوسّل من مظاهر الشرك.
- رفضت مبدأ زيارة القبور.
- أن لا يطلب الشفاعة من النبيّ ﷺ.
- إنّ الاستغاثة بالنبيّ ﷺ شرك، ولا يجوز مناداته والاستعانة به بأيّ حال من الأحوال.
- الجمود على ظاهر نصوص الكتاب والسنّة في صفات الله سبحانه، ولم يُجيزوا تفسير الظواهر وتأويلها بغير ما دلّت عليه الصورة الحرفيّة، بل يعتبرون التأويل كفراً، لأنّه كذب على الله والرسول.
- الاعتقاد بالجبر، بمعنى أنَّ الإنسان مجبر في أفعاله فالله خلق الإنسان وخلق أفعاله وكلّ ما يقوم به من خير أو شر.
- يعتقد الحنابلة بما فيهم الوهّابيّة بأنّه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر، والمستبدّ الفاسد، ويوجبون طاعته والاستماع له، كما جاء في كتاب الأحكام السلطانيّة.
- إذا خالف الإنسان أمر الله عن جهالة فإنّه يكون مبتدعاً حتّى لو كان جهله عن قصور لا عن تقصير.



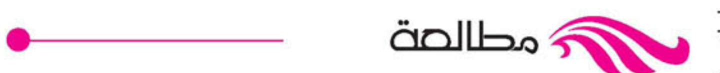
الأسئلة

١. **من هو مؤسّس المذهب الوهّابي؟**

٢. **اذكر ثلاثة من معتقدات الوهّابيّة.**

٣. **وضّح عقيدة الوهّابيّة في حرمة البناء على القبور.**

٤. **وضّح عقيدة الوهّابيّة في الجبر.**



مطالعة

الأحباش وخلافهم مع الوهابيّة

النشأة والتأسيس

الأحباش طائفة تُنسب إلى عبد الله بن محمّد الشيبي العبدري نسباً الهرري موطناً نسبة إلى مدينة هرر بالحبشة، ولد سنة ١٩٢٠م.

ينتشر الأحباش في لبنان. ولديهم جمعية تُعرف بجمعية المشاريع الإسلاميّة. ولديهم بعض الانتشار في أوروبا وأمريكا.

خالفت الأحباش الوهابيّة في الكثير من الآراء ولذا كانت المواجهة بينهما واتجهت الوهابيّة لتكفير الأحباش.

كما خالفت المعتزلة وحشد الهرري في كتبه الردود على آراء المعتزلة في المسائل الكلاميّة.

أهمُّ عقائدهم

يقول الأحباش أنّهم على مذهب الإمام الشافعي في الفقه والاعتقاد.

يُحرِّم الأحباش الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب، معلِّلين ذلك بأنّ الله ورسوله أخبرونا بأنّ فيهم من يدخل النار.

إنّ الله هـو الّذي يُعيـن المؤمن على إيمانه والكافر على كفره، وليس مرادهم بالإعانة هنا الرضى والمحبّة، بل بالتمكين والإقدار.

ترى فرقة الأحباش جـواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء عليهم السلام حتّى بعد وفاتهم، لأنّه ليس عبادة لغير الله، فهو ليس شركاً كما ذهبت إليه الوهابيّة وكذلك التبرّك بقبر الولي.

وخالفوا الوهابيّة في القول بجواز نداء النبيّ بعد موته. واستدلّوا لجواز ذلك بحديث أنس عن النبيِّ (الأنبياء أحياء في قبورهم يُصلّون).

جواز التبرّك بآثار النبيِّ في حياته وبعد مماته.

قسّم الأحباش البدعة إلى قسمين بدعة ضلالة وهي المخالفة للكتاب والسنّة، وبدعة هدى وهي الموافقة لهما.

ومـن بدع الهدى ذكروا الاحتفـال بمولد النبيِّ، وهذا مـن نقاط خلافهم مع الوهابيّة.

وأمّا من البدع السيّئة فمثل كتابة «ص» بعد ذكر اسم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، التّيمُّم على السجّاد والوسائد، حذف بعض الأحرف من اسم الجلالة (الله).

يؤمنـون بثبـوت الشفاعـة ولكنّهم يـرون أنّها لأهـل الكبائر مـن المسلمين، مستدلّين لذلك بالآيات والروايات.

يرون أنّ من خرج على الإمام عليّ عليه السلام من الناكثين و القاسطين والمارقين هم بغاة.

ويعتبـرون أنّ معاوية كان قصده مـن قتال الامام عليّ عليه السلام الدنيا، فلقد كان يتملّـك به الطمع فـي الملك وفرط الغرام في الرئاسـة، فلمّا ثبت ملكه كفّ عن المطالبـة بدم عثمان وهو مـا كان اتخذه حجّة للخروج علـى الإمام عليّ عليه السلام وقتاله.

كما أنّ معاوية سعى قبل موته في تخليف ابنه يزيد وذلك مع وجود من هو أهل لتلك الخلافة من الصحابة أمثال الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام، وعبد الله بن عمر وغيرهما.

وما يُروى في معاوية من الفضائل فإنّه لم يصحّ منه شيء، والّذي يسبُّ الإمام عليّاً عليه السلام ويُبغضه ولا يُحبّه فاسق، ومعاوية سنّ السبَّ لعليّ.

ثمّ إنّه ليس كلُّ الصحابة أتقياء وأولياء.

ويرون أنّ معنى الحديث «**ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة**» ليس أنّ الّذي يكون في زمن ليس فيه خليفة كهذا الزمن إذا مات تكون ميتته جاهلية بل معناه أنّ الّذي يترك الامام بالخروج عن طاعته كالّذين خرجوا على عليٍّ إذا مات مات ميتة جاهليّة.

ويعتقدون أنّ رؤية الله عزّ وجلّ جائزة بالعقل واجبة بالنقل للآيات الواردة بذلك[١].

خروج المرأة متزيّنة أو متعطّرة مع ستر العورة مكروه تنزيهاً دون الحرام، ويكون حراماً إذا قصدت المرأة بذلك التعرّض للرجال.

صراع الأحباش والوهابيّة

هاجم الأحباش ابن تيميّة شيخ الوهابيّة بشدّة، ويحذّرون أشدَّ التحذير من كتبه، وكذا سائر شخصيات الوهابيّة المعروفة كمحمّد بن عبد الوهّاب ومحمّد ناصر الدين الألباني عندهم كافر.

أما سيّد قطب فمن كبار الخوارج الكفرة في ظنّهم[٢].

(١) انظر: صريح البيان، تأليف الشيخ عبد الله الهرري المعروف بالحبشي، إصدار جمعية المشاريع، ط ١٩٩٠.
(٢) انظر: مجلة منار الهدى الحبشية عدد٣، ص٢٣٤، النهج السوي في الرد على سيد قطب وتابعه فيصل مولوي.

مؤلّفات الحبشيّ

صنّف الحبشيّ العديد من الكتب الّتي حكى فيها الآراء المتبنّاة من قِبَله في مختلف قضايا العقيدة والفقه ومن أهمَّ هذه الكتب:

١ـ بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب.

٢ـ المطالب الوفية في شرح العقيدة النسفيّة.

٣ـ الصراط المستقيم.

٤ـ صريح البيان.

أهمُّ شخصيّاتهم

الشيخ نزار الحلبيّ، خليفة الحبشيّ ورئيس جمعيّة المشاريع الإسلاميّة، ولكنّه قُتل اغتيالاً في لبنان في ٣١ آب سنة ١٩٩٥م.

الشيخ حسام قراقيرة رئيس جمعيّة المشاريع الإسلاميّة.



الدرس السادس

الخوارج



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى نشأة الخوارج.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ معتقدات الخوارج.

٣. أن يُعدِّد أهمَّ فرقهم وشخصيّاتهم.



النشأة والتأسيس

ترجع بداية ظهور الخوارج إلى قصّة التحكيم في معركة صفين، فبعد اقتراب هزيمة معاوية وحيلة عمرو بن العاص برفع المصاحف، وعصيان الناس لأمير المؤمنين عليه السلام حيث انطلت حيلة رفع المصاحف عليهم ابتدأت قصّة التحكيم. وتمّ الاتفاق على أنّ الحكمين يجتمعان بـ(**دومة الجندل**) ليرفعا مَن رفعه القرآن، ويخفضا من خفضه القرآن، وكانت النتيجة أنْ خلع أبو موسى الأشعري الإمامٍ عليّاً عليه السلام عن الخلافة، ونصّب عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان إماماً للمسلمين!!

ولكن الّذين حملوا عليّاً عليه السلام على الموادعة والرضوخ للتحكيم، رجعوا عن فكرتهم وزعموا أنّ أمر التحكيم على خلاف الذكر الحكيم حيث يقول ﴿إِنْ الحُكْم إِلّا للهِ﴾ فحاولوا أنْ يفرضوا على الإمام عليّ عليه السلام أمراً آخر وهو القيام بنقض الميثاق ورفض كتاب الصلح بينه وبين معاوية، فجاء هؤلاء قائلين: «**لا حكم إلّا لله**».

وقد أخبر النبيُّ صلى الله عليه وآله بفتنة الخوارج، فقد روى ابن هشام عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه قال: «**جاء رجل من بني تميم. في غزوة هوازن. يُقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يُعطي النّاس فقال: يا محمّد، قد رأيتُ ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أجل، فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك**

عدلت، قال: فغضب النبيُّ ﷺ، ثمّ قال: ويحك، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا أقتله؟ فقال: لا دعه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتّى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»[1].

وتحرّك الخوارج بعد ذلك على أمور ثلاثة:

١ ـ التظاهر ضد الإمام عليّ عليه السلام بقولهم: «**لا حكم إلّا لله**» في المسجد وخارجه خصوصاً عند قيام الإمام بإلقاء الخطب.

٢ ـ تكفير الإمام عليّ عليه السلام وأصحابه الّذين وفوا بالميثاق.

٣ ـ تأمين أهل الكتاب وإرهاب المسلمين وقتل الأبرياء.

كان الخوارج من أهل القبلة وأهل الصلاة والعبادة، وكان الناس يستصغرون عبادة أنفسهم عندما يرون عبادة الخوارج، فلم يكن قتالهم واستئصالهم أمراً هيّناً، ولم يكن يجترئ عليه غير الإمام عليّ عليه السلام ولأجل ذلك قام بعد قتالهم، فقال: بعد حمد الله والثناء عليه، «**أيّها الناس فإنّي فَقَأْتُ عين الفتنة، ولم تكن ليجترىءَ عليها أحد غيري، بعد أنْ ماج غيهبها واشتدّ كلَبُها**»[2].

ولمّا قُتل الخوارج وأفلت منهم من أفلت، قال بعض أصحاب الإمام: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم، فقال:

«**كلّا والله إنّهم نُطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين**»[3].

وقد ذكر المؤرّخون قضايا وحوادث تُعرب عن أنّ القوم صاروا بعد ذلك لصوصاً سلّابين، فإنّ دعوة الخوارج اضمحلّت، ورجالها فنيت حتّى أفضى

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٤، ص ٤٩٦. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٢، ص١٨٤.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ١٨٣.
(٣) م. ن، الخطبة ٩٣.

الأمر إلى أنْ صار خلفهم قطّاع طرق متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض.

وللإمام عليّ عليه السلام كلمة في حقّ الخوارج ألقاها بعد القضاء عليهم:

«لا تُقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحقّ فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه»[1].

هذه الكلمة تُعرب عن أنّ انحراف الخوارج عن الحقّ لم يكن شيئاً مدبّراً من ذي قبل، وإنّما سذاجة القوم وقرب قعرهم، جرّهم إلى تلك الساحة، وكانوا جاحدين للحقّ عن جهل ممزوج بالعناد، فكانوا يطلبون الحقّ من أوّل الأمر، لكنْ أخطأوا في طلبه ودخلوا في حبائل الشيطان والنفس الأمّارة.

وللخوارج ألقاب عديدة، فمن ألقابهم: «**الخوارج**» لخروجهم على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و«**المحكّمة**» لكون شعارهم: «**لا حكم إلّا لله**»، و«**الحروريّة**» لنزولهم في منطقة حروراء في أوّل أمرهم، و«**الشُراة**» لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بِعْناها بالجنّة، و«**المارقة**» لأنّهم مرقوا من الدين وخرجوا منه، كما يَمْرق السهم من الرمية ـ حسب توصيف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهم ـ.

أهمُّ معتقداتهم

١ ـ تكفير مرتكب الكبيرة.

٢ ـ إنكار مبدأ التحكيم.

٣ ـ تكفير عثمان والإمام عليّ عليه السلام ومعاوية وطلحة والزبير ومِن سار على دربهم ورضي بأعمال عثمان وتحكيم عليّ عليه السلام، على هذه الأصول نشأوا إلى عهد ابن الزبير.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٦٠.

الفرقة الإباضيّة

الفرقــة الوحيدة المتبقيّة مــن الخوارج هم الإباضيّــة، ووُصفت الإباضيّة فــي كلام غيــر واحد بأنّهم أقــرب النِاس إلى أهــل السنّة وأنّهــم هم الفرقة المعتدلــة مــن الخــوارج، ولأجل هذا أُتيــح لهم البقــاء إلى يومنــا هذا، فهم متفرّقون في عُمان وزنجبار وشمال أفريقيا، فإذا كان البحث في سائر الفرق بحثــاً في طوائــف أبادها الدهر وصاروا خبــراً لكانَ، فالبحث عــن الإباضيّة بحث عــن فرقة موجودة من الخوارج، ويُعتبر مذَهبهــم المذهب الرسميّ في سلطنــةعُمــان.

وبمــا أنّ الخوارج لــم يكونوا ذوي سمعة حسنــة، وكان المسلمون يتبرّأون من عقائدهــم وأعمالهم، صار هــذا هو الحافز لعلمــاء الإباضيّة لإخــراج أنفسهم مــن صفوفهم، والتأكيد على أنّهم فرقــة مستقلّة لا صلة لهم بالخوارج إلّا كونهم مشتركين في أصل واحد وهو إنكار التحكيم.

ولمّا كانت الفرقة الإباضيّة هي الوحيدة الباقية إلى زماننا هذا فسنذكر هنا أهمّ معتقداتهم:

١ـ أنّ الصفات الإلهيّة ليست شيئاً زائداً على الذات.

٢ ـ امتناع رؤية الله سبحانه في الآخرة

إنّ امتنــاع رؤية الله سبحانه من الأُصــول الّتي استقاها الوعاة من المسلمين من القرآن الكريــم وخطب سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال عزّ من قائل: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾[1].

وهذا الأصل أيضاً من الأُصول اللامعة في عقائد الإباضيّة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

٣ ـ القرآن حادث غير قديم

إنّ المترقّب من الإباضيّة الّذين رفضوا القشريّة، وخضعوا للعقل، أنْ يكون موقفهم في خلق القرآن موقف العدليّة ويصرّحوا بأنّ القرآن مخلوق لله سبحانه وحادث بعد أنْ لم يكن، لكونه حادثاً ومخلوقاً لله سبحانه غير أنّ الظاهر من بعض كتّابهم أنّهم يتحرّجون من التصريح بخلق القرآن وإنْ كانوا بعيدين عن القول بكونه قديماً غير مخلوق.

٤ ـ عدم اشتراط القرشيّة في الإمام

٥ ـ الشفاعة، دخول الجنّة بسرعة

إنّ مرتكبي الكبيرة عند الإباضيّة إذا ماتوا بلا توبة، محكومون بالخلود في النار، فلأجل هذا الموقف المسبّق في هذه المسألة فسّروا الشفاعة بدخول المؤمنين الجنّة بسرعة، وفي الحقيقة خَصُّوها بغير المذنبين من الأُمّة، وهذا التفسير يوافق ما عليه المعتزلة من أنّ الغاية من الشفاعة هو رفع الدرجة لامغفرة الذنوب.

٦ ـ مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملّة

اتّفقت الخوارج حتّى الإباضيّة على أنّ ارتكاب الكبيرة موجب للكفر، ولكنّ المتطرّفين منهم يرونه خروجاً عن الملّة، ودخولاً في الكفر والشرك، إلّا الإباضيّة فإنّهم يرونه كفر النعمة.

٧ ـ الخروج على الإمام الجائر

يقول أبو الحسن الأشعريّ: «**والإباضيّة لا ترى اعتراض الناس بالسيف لكنّهم يرون إزالة أئمّة الجور ومنعهم من أنْ يكونوا أئمّة بأيّ شيء قدروا عليه بالسيف أو بغيره.**

وربّما يُنسب إليهم أمر غير صحيح، وهو أنّ الإباضيّة لايرون وجوب اقامة الخلافة».

إنّ وجوب الخروج على الإمام الجائر أصل يدعمه الكتاب والسنّة النبويّة وسيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام إذا كانت هناك قدرة ومنعة، وهذا الأصل الّذي ذهبت إليه الإباضيّة بل الخوارج عامّة، هو الأصل العام في منهجهم، ولكنّ نرى أنّ بعض الكتّاب الجدد من الإباضيّة الّذين يُريدون إيجاد اللقاء بينهم وبين أهل السنّة يطرحون هذا الأصل بصورة ضئيلة.

أهمّ فرقهم وشخصيّاتهم

أما أهمُّ شخصيّاتهم في بداية ظهورهم فهم:

١ـ قطري بن الفجاءة (ت/٧٨).

٢ـ عمران بن حطّان السدوسيّ البصري (ت/٨٤).

٣ـ عكرمة البربري (ت/١٠٥).

٤ـ الطرماح بن حكيم (ت/١٢٥).

٥ـ عبد الله بن إباض مؤسس المذهب الإباضي، وقد خرج في أيّام مروان بن محمّد في أواخر دولة بني أميّة[1].

٦ـ الضحّاك بن قيس

الضحّاك بن قيس مذكور في التاريخ باعتباره قائداً عسكريّاً قد أجهد الدولة الأمويّة في عصره، ولم يوصف بشيء من العلم والشعر والأدب سوى القيادة.

وللخوراج فرق أخرى منقرضة هي:

(١) وفي كتاب المذاهب الإسلاميّة، للشيخ السبحاني، يقول: إنّ عبد الله بن إباض التميمي معاصر لمعاوية وعاش إلى أواخر أيّام عبد الملك بن مروان. انظر: السبحاني، المذاهب الإسلامية، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٣هـ، ص١٣٦.

الفرقة الأُولى

الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق المقتول سنة ٦٥هـ.

الفرقة الثانية

النجديَّة: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، توفي سنة ٦٩هـ.

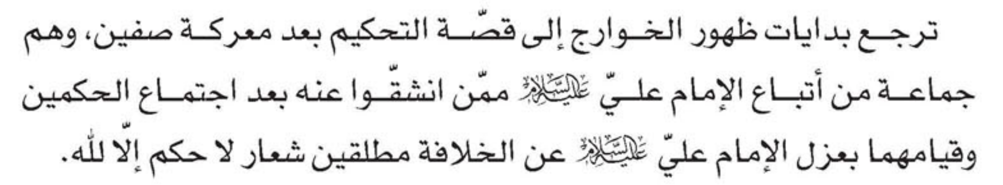
الفرقة الثالثة

البيهسـيّة: ويُنسبـون إلى أبـي بيهس، طلبـه الحجّاج أيّام الوليـد فهرب إلى المدينة، قتله واليها بأمر الوليد[1].

الفرقة الرابعة

الصفريّة: والمعروف أنّهم أتباع ابن صفار، وقال الشهرستانيّ إنّهم أتباع زياد بن أصفر.

خلاصة الدرس



ترجـع بدايات ظهور الخـوارج إلى قصّـة التحكيم بعد معركـة صفين، وهم جماعـة من أتبـاع الإمام علـيّ عليه السلام ممّن انشقّـوا عنه بعد اجتمـاع الحكمين وقيامهما بعزل الإمام عليّ عليه السلام عن الخلافة مطلقين شعار لا حكم إلّا لله.

قاتلهم الإمام عليه السلام بمعركة النهروان وقضى عليهم، وهم الّذين يُطلق عليهم المارقون ولهم تسميات أخرى.

أهمُّ معتقداتهم:

١ ـ تكفيـر مرتكـب الكبيـرة. ٢ ـ إنكار مبدأ التحكيـم. ٣ ـ تكفير عثمان وعليّ ومعاوية وطلحة والزبير.

---

(١) انظر: المذاهب الإسلامية، السبحاني، ص١٣٦.

الفرقـة المتبقيّـة منهم إلى الآن هـم الإباضيّة المقيمون فـي عُمان وزنجبار وشمـال أفريقيـا وأهـمّ معتقداتهم هي: امتنـاع رؤية الله سبحانه فـي الآخرة، القـرآن حادث غير قديم، الشفاعة: وتعني عندهم دخول الجنّة بسرعة، مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملّة.

أهـمُّ شخصيّاتهم: عبد الله بن إباض، عكرمة البربري، قطري بن الفجاءة، عمران بن حطّان السدوسيّ البصريّ.



الأسـئـلـة

١. كيف نشأ مذهب الخوارج؟
٢. اذكر ثلاثة من معتقدات الخوارج.
٣. وضّح عقيدة الخوارج في كفر مرتكب الكبيرة.

مطالعة

مـن كلام للإمـام عليّ عليه السلام في الخوارج لمّا سمـع قولهم «لا حكم إلّا لله» قـال عليه السلام:

«كلمة حقّ يُراد بها باطل. نعم إنّه لا حكم إلّا لله. ولكنْ هؤلاء يقولون لا إمرة إلّا لله: وإنّه لا بُدَّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن. ويستمتع فيها الكافر. ويبلغ الله فيها الأجل. ويجمع به الفيء، ويُقاتل به العدو. وتأمن به السبل. ويؤخذ به للضعيف من القوي حتّى يستريح به برّ ويُستراح من فاجر وقال عليه السلام: أمّا الإمرة البرّة فيعمل فيها التقي. وأما الإمرة الفاجرة فيتمتّع فيها الشقيّ إلى أن تنقطع مدّته وتُدركه منيّته»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

- ومن كلام له عليه السلام كلّم به الخوارج :

«أصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر. أبَعدَ إيماني بالله وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر. لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين. فأوبوا شرّ مآب. وارجعوا على أثر الأعقاب. أما إنّكم ستلقون بعدي ذُلّاً شاملاً. وسيفاً قاطعاً. وأثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة»[١].

- قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج في النهروان:

«مصارعهم دون النطفة[٢]. والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة»[٣].

- وقال عليه السلام وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان:

«بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم (فقيل له من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ فقال): الشيطان المضلّ والأنفس الأمّارة بالسوء غرّتهم بالأماني وفسحت لهم بالمعاصي، ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار»[٤].

(١) م. ن، الخطبة ٥٨.
(٢) م. ن، الخطبة ٥٩، (يعني بالنطفة ماء النهر وهو أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جمّاً).
(٣) م. ن، الخطبة ٦٠.
(٤) نهج البلاغة، الكلمة: ٣٢٣.



الدرس السابع

الزيديّة



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى «زيد» الّذي تُنسب إليه الزيديّة.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ معتقدات الزيديّة وأهمّ فرقهم.

النشأة والتأسيس

الزيديّة مذهب منتسب إلى زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين عليّ ابن سيّد الشهداء الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، ولد سنة ٧٥هـ واستُشهد سنة ١٢٠هـ، وفي عام ولادته وشهادته أقوال أُخرى.

أخذ عن أبيه ثُمّ عن أخيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام، وكان الإمام الباقر عليه السلام ينظر إليه نظر أخ عطوف ويُثني عليه ويُطريه ويقول في حقّه: «**هذا سيّد أهل بيته والطالب بأوتارهم**»[1].

كما كانت أواصر الحبّ والود تجمعه بالإمام الصادق عليه السلام، فلمّا بلغ نعيه إلى المدينة أخذ الناس يفدون إلى الإمام ويعزّونه[2].

هل دعا زيد إلى نفسه؟

هذا هو بيت القصيد في حياة زيد، فالزيديّة عامّة على أنّ زيداً دعا إلى إمامة نفسه، وأمّا الإماميّة فيعتقدون أنّه دعا إلى الرضى من العترة، فقد كان هو بصدد تمهيد السبيل للإمام المفترض الطاعة من بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم، تضافرت الروايات على بيعة جماعة كثيرة له، لكنّ بايعوه على الجهاد

(١) الأمالي للصدوق، ص٣٣٥، الحديث ١١.
(٢) الأغاني، الأصفهاني، ج٧، ص٢٥١.

في سبيل الله تحت إمرته، لا على الإمامة بعد الظفر.

نعـم، زعمت الزيديّة انّه ادّعى الإمامة لنفسه، وكان الجهاد وسيلة لنيل ذلك الهـدف، لكنّ كلمـات زيد تخلو من أيّة إشارة إلى ذلـك، بل كلّها تُعرب عن دعم الموقف الأوّل وأنّه قام للرضى من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولأجـل ذلك تضافـرت الروايات من طرقنا علـى أنّ زيداً ما دعـا إلى نفسه وإنّما دعا إلى الرضى من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه لو ظفر لوفى، ومعنى هذه الروايات أنّـه كان يُمهِّـد الطريـق لولاية الإمام المنصوص عليه في كلام النبـيّ والأئمّة الصادقين عليهم السلام.

١- قال الصادق عليه السلام: «**إنّ زيداً كان مؤمناً وكان عارفاً وكان صـدوقاً، أما لو ظفر لوفى، أما إنّه لو ملك عرف كيف يضعها**»(١).

٢- وقـال عليه السلام: «**إنّ زيداً كان عالماً وكان صـدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسـه، وإنّما دعاكم إلى الرضـى من آل محمّد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، وإنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه**»(٢).

اعترافه بإمامة الإمام الصادق عليه السلام

١- إنّ زيـداً كان معترفـاً بإمامة ابن أخيه الإمـام جعفر الصادق عليه السلام بلا كلام، وكان يقـول: «**مـن أراد الجهاد فإليّ، ومن أراد العلم فإلى ابن أخي جعفر**»(٣).

٢- روى الصـدوق فـي «**الأمـالـي**» عن عمرو بـن خالد: قال زيد بـن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام: «**في كلّ زمان رجل منّا أهل البيت**

(١) الروضة من الكافي، الكليني، الحديث ٣٨١.
(٢) رجالي الكشي، ص٢٤٢ برقم ١٤٤.
(٣) كفاية الأثر، ص٣٠٢.

يحتجّ الله به على خلقه، حجّة زماننا ابن أخي جعفربن محمّد، لا يضلّ من تبعه، ولا يهتدي من خالفه»[1].

٣- روى محمّد بن مسلم: دخلت على زيد بن عليّ وقلت: إنّ قوماً يزعمون أنّك صاحب هذا الأمر قال: «**لا، ولكنّي من العترة، قلت: فلمن يكون هذا الأمر بعدكم؟ قال:** «**سبعة من الخلفاء، والمهديّ منهم**»[2].

قال محمّد بن مسلم: دخلت على الباقر محمّد بن عليّ عليه السلام فأخبرته بذلك، فقال: «**صدق أخي زيد، سبيل هذا الأمر بعدي سبعة من الأوصياء والمهدي منهم**»، ثمّ بكى عليه السلام وقال: «**وكأنّي به وقد صُلب في الكناسة. يا بن مسلم حدّثني أبي عن أبيه الحسين** عليه السلام **: قال: وضع رسول الله يده على كتفي، قال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يُقال له زيد، يُقتل مظلوماً إذا كان يوم القيامة حُشر وأصحابه إلى الجنّة**»[3].

موقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام من خروج زيد

إنّ موقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام من خروج زيد كان إيجابيّاً، وكانوا يرون أنّ خروجه وجهاده جاء وفقاً للكتاب والسنّة، بمعنى أنّ الخروج حينذاك لم يكن تكليفاً إلزاميّاً على الإمام ولا على غيره، ولكنّه لو خرج مسلم لإزالة الطغاة عن منصّة الحكم، وتقويض الظلم والفساد من دون أنْ يدعو إلى نفسه كان على المسلمين عونه ونصرته، وإجابة دعوته.

وكان خروج زيد على هذا الخط الّذي رسمناه، وهذا ما يُستفاد من الروايات المستفيضة، وإليك بعضها:

١- لمّا بلغ قتل زيد إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون،**

(١) أمالي الصدوق، ص٥٤٢؛ بحار الأنوار، ج٤٦، ص١٧٧.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٦، ص ٢٠٠.
(٣) كفاية الأثر، ص٣٠٦.

عند الله أحتسب عمّي، إنّه كان نعم العمّ. إنّ عمّي كان رجلًا لدنيانا وآخرتنا، مضى والله شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعليّ والحسين صلوات الله عليهم»[١].

٤- روى الصدوق عن عبد الله بن سيابة أنّه أتى رسول بسّام الصيرفيّ بكتاب فيه: أمّا بعد، فإنّ زيد بن عليّ قد خرج يوم الأربعاء غرّة صفر، ومكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه وبكى، ثمّ قال: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون. عند الله أحتسب عمّي، إنّه نعم العمّ، إنّ عمّي كان رجلًا لدنيانا وآخرتنا ...**» إلى آخر ما مرّ في الحديث الأوّل[٢].

ثورة زيد بن عليّ كانت امتداداً لثورة الحسين عليه السلام

إنّ نهضة الحسين بن عليّ عليه السلام منذ قيامها صارت أُسوة وقدوة للمستضعفين، وقد لمس الثائرون مبدئيّة هذه النهضة وأنّها قامت منذ البداية على مبادئ إلهيّة.

وقد أثارت وعي الأُمّة حتّى تتابعت ثورات عديدة ضدّ النظام الأُمويّ، نُشير إلى أهمّها:

١- ثورة أهل المدينة وإخراج عامل يزيد منها.

٢- ثورة عبد الله بن الزبير.

٣- ثورة التوّابين في الكوفة بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي الّتي أثلجت قلوب بني هاشم.

(١) عيون أخبار الرضى عليه السلام، ج١، ص٢٥٢، الباب ٢٥، الحديث ٦.
(٢) م.ن، ج١، ص٢٤٩، الباب ٢٥.

٥- ثورة عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث.

هــذه الثــورات الخمس كانت مستلهمة من ثورة الحسيــن بوجه إلى أنْ وصلت النوبة إلى زيد.

٦- ثــورة زيد الشهيد الّتي أنارت الطريق للثائرين الّذين أنهضهم زيد بثورته للقضاء على النظام الأمويّ في مدّة لا تتجاوز عشر سنين.

الثائرون بعد زيد

إنّ ثورةِ زيد بن عليّ كانت ثورة عارمة بوجه الظالمين هزّت وضعضعت أركان الدولــة الأمويّة، ولإيقاف القارئ على الأحــداث الّتي أعقبت ثورته، نذكر أسماء الّذين نهجوا منهجه وساروا على دربه، وأخذوا بزمام الثورة وقادوها، وهم:

١- يحيى بن زيد، الّذي شارك مع أبيه في الثورة وبقي بعد مقتل أبيه.

٢- محمّــد بن عبــد الله بن الحسن المعروف بالنفــس الزكيّة الّذي استشهد عام ١٤٥هـ.

٣- إبراهيــم بن عبد الله الّذي استشهد في البصرة في العام الّذي استشهد فيه أخوه محمّد.

٤- إدريســ بن عبد الله حيث ذهب إلى المغرب بعد قتل محمّد بن عبد الله، فأجابه خلق من الناس.

٥- إدريســ بــن إدريس بن عبــد الله بن الحســن مؤسّس دولــة الأدارسة في المغرب.

٦- عيسى بن زيد بن عليّ أخو يحيى بن زيد، وقد توارى بعد ثورة أخيه، فمات متوارياً عام ١٦٦هـ.

٧- محمّــد بــن إبراهيم الطباطبا، فقــد خرج في خلافة المأمــون ودعا إلى

الرضى من آل محمّد، توفّي عام ١٩٩هـ.

٨- محمّـد بـن محمّد بن زيد بن عليّ، وكان أبو السرايـا قائداً عامّاً لجيشه، وكان قبل ذلك داعية لابن طباطبا.

٩- محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر الأشرف بن عليّبن الحسين، فقد ظهر في طالقان عام ٢١٩هـ ودعا إلى الرضا من آل محمّد.

١٠- يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد، خرج بالكوفة عام ٢٥٠هـ.

١١- يحيـى بـن الحسين بـن القاسم المعـروف طباطبا وقد دعـا إلى نفسه بصعـدة وبويع للإمامة، ثُمّ إنّ الإمام يحيى بن الحسين أسّس دولة زيديّة باليمـن وقام بأعباء الإمامة، ومن بعده أولاده إلى أنْ أقصيت الزيديّة عن الحكـم في اليمن بحلـول الجمهوريّة، وذلك في شهر ربيـع الأوّل من سنة ١٣٨٢هـ.

وكمـا قامـت للزيديّة دولة في المغـرب واليمن، كذلك قامـت دولة زيديّة في طبرستان بين الأعوام (٢٥٠- ٣٦٠هـ).

حيث ظهر الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن زيد بن الحسين عليه السلام في طبرستـان أيّام المستعين بالله وتمكّن من بسط نفوذه على طبرستان وجرجان، وقام بعده أخوه محمّد بن زيد ودخل بلاد الديلم عام ٢٧٧هـ، ثُمّ ملك طبرستان بعد ذلك الناصر للحقّ الحسن بن عليّ المعروف بالأطروش، وجاء بعده الحسن بن القاسم، وبعده محمّد بن الحسن بن القاسم المتوفّى ٣٦٠هـ.

هذه إلمامة موجزة عن ثوّارهم ودولهم.

عقائد الزيديّة

لم يكن زيد الشهيد صاحب نهج كلاميّ ولا فقهيّ، وأمّا قوله بالعدل والتوحيد

ومكافحة الجبر والتشبيه، فلأجل أنّه ورثهما عن آبائه عليهم السلام، وإنْ كان يُفتي في مورد أو موارد فكان يصدر عن الحديث الّذي يرويه عن آبائه.

نعم، جاء بعد زيد مفكّرون، وهم بين دعاة للمذهب، أو بناة للدولة في اليمن وطبرستان، فساهموا في إرساء مذهب باسم المذهب الزيديّ، متوافقين غالباً في الأصول والعقائد مع المعتزلة، وفي الفقه وكيفيّة الاستنباط مع الحنفية، ولكنّ الصلة بين ما كان عليه زيد الشهيد في الأصول والفروع وما أرساه هؤلاء في مجالي العقيدة والشريعة منقطعة إلّا في القليل منهما.

إنّ المذهب الزيدي مذهب ممزوج ومنتزع من مذاهب مختلفة في مجالي العقيدة والشريعة ساقتهم إلى ذلك الظروف السائدة عليهم وصار مطبوعاً بطابع مذهب زيد، وإنْ لم يكن له صلة بزيد إلّا في القسم القليل.

ومن ثُمّ التقت الزيديّة في العدل والتوحيد مع شيعة أهل البيت جميعاً، إذ شعارهم في جميع الظروف والأدوار رفض الجبر والتشبيه والجميع في التديّن بذينك الأصلين عيال على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما أنّهم التقوا في الأصول الثلاثة:

١- الوعد والوعيد. ٢- المنزلة بين المنزلتين. ٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. - مع المعتزلة حيث أدخلوا هذه الأصول في مذهبهم ورتّبوا عليه:

أ- خلود مرتكب الكبيرة في النار إذا مات بلا توبة، وحرمانه من الشفاعة، لأنّها للعدول دون الفسّاق.

ب- الشفاعة بمعنى ترفيع الدرجة لا الحطّ من الذنوب.

ج- الفاسق في منزلة بين المنزلتين، فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر بل فاسق.

فاستنتجوا الأمرين الأوّلين من الأصل الأوّل، والثالث من الأصل الثاني.

وأمّا الأصل الثالث فهو ليس من خصائص الاعتزال ولا الزيديّة، بل يُشاركهم فيه الإماميّة. هذه عقائدهم في الأصول.

وأمّا الفروع فقد التفّت الزيديّة حول القياس والاستحسان والإجماع، وجعلوا الثالث أي الاجماع بما هو هو حجّة، كما قالوا بحجيّة قول الصحابيّ وفعله، وبذلك صاروا أكثر فرق الشيعة توافقاً مع أهل السنّة.

ولكنّ العلامة الفارقة والنقطة الشاخصة الّتي تُميّز هذا المذهب عمّا سواه من المذاهب، ويسوقهم إلى الالتقاء مع الإماميّة والإسماعيليّة هو القول بإمامة عليّ والحسنين عليهم السلام بالنصّ الجليّ أو الخفيّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والقول بأنّ تقدّم غيرهم عليهم كان خطأً وباطلاً.

وها نحن نأتي برؤوس عقائدهم الّتي يلتقون في بعضها مع المعتزلة والإماميّة:

١- صفاته سبحانه عين ذاته، خلافاً للأشاعرة.

٢- إنّ الله سبحانه لا يُرى ولا يجوز عليه الرؤية.

٣- العقل يُدرك حسن الأشياء وقبحها.

٤- الله سبحانه مريد بإرادة حادثة.

٥- إنّه سبحانه متكلّم بكلام، وكلامه سبحانه فعله: الحروف والأصوات.

٦- أفعال العباد ليست مخلوقة لله سبحانه.

٧- التكليف بما لا يُطاق قبيح، خلافاً للمجبرة والأشاعرة.

٨- المعاصي ليس بقضاء الله.

٩- الإمامة تجب شرعاً لا عقلاً خلافاً للإماميّة.

١٠- النصّ على إمامة زيد والحسنين عند الأكثريّة.

١١- خطأ المتقدّمين على الإمام عليّ عليه السلام في الخلافة قطعيّ.

١٢- خطأ طلحة والزبير وعائشة قطعيّ.

١٣- توبة الناكثين صحيحة.

١٥- معاوية بن أبي سفيان فاسق لبغيه ولم تثبت توبته[١].

هــذه رؤوس عقائــد الزيديّــة استخرجناها مــن كتاب القلائد فــي تصحيح الاعتقاد المطبوع في مقدّمة البحر الزخّار.

فرق الزيديّة

ذكــر مؤرّخو العقائد للزيديّة فرقاً وهم بيــن مقتصر على الثلاثة، وإلى مفيض إلــى ستة، وإلى ثمانية منهــا: الجاروديّة والسليمانيّة والبتريّــة والنعيميّة، إلى غير ذلــك مــن الفرق، وبما أنّ هذه الفــرق كلّها قد بادت وذهبــت أدراج الريح مع بقاء الزيديّــة في اليمن، ولا يوجد اليوم في اليمن بيــن الزيديّة من المفاهيم الكلاميّة المنسوبــة إلى الفرق كالجاروديّة أو السليمانيّــة أو البتريّة أو الصالحيّة إلّا مفهوم واحــد، وهو المفهوم العام الّذي تعرّفت عليه، وهو القول بإمامة زيد والخروج على الظلمة واستحقاق الإمامة بالطلب والفضل لا بالوراثة مع القول بتفضيل عليّ عليه السلام وأولويّته بالإمامة وقصرها من بعده في البطنين الحسن والحسين عليهما السلام.

وأمّا أسماء تلك الفرَق والعقائد المنسوبة إليهم فلا توجد اليوم إلّا في بطون الكتب والمؤلّفات في الفـرَق الإسلاميّة كالملل والنِّحل ونحوها، فإذا كان الحال في اليمن كما ذُكر، فالبَحث عن هذه الفرَق من ناحية إيجابيّاتها وسلبيّاتها ليس مهمّاً بعد ما أبادهم الدهر، وإنّما اللازَم دراسة المفهوم الجامع بين فرقهم.

(١) انظر: المذاهب الإسلامية، السبحاني، ص٢٤١ - ٢٤٤. نقلاً عن البحر الزخّار، ص٥٢ - ٩٦.



تُنسب الزيديّة إلى زيد بن الإمام زين العابدين بن الحسين عليهما السلام إلّا أنّه لم يدع إلى إمامة نفسه، بل اعترف بإمامة ابن أخيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

قام زيدٌ بثورة كانت امتداداً لثورة جدِّه الحسين عليه السلام وقد ترحّم عليه الإمام الصادق عليه السلام.

لم يكن زيد صاحب نهج كلاميّ ولا فقهيّ، نعم جاء بعده مفكّرون ساهموا في إرساء مذهب باسم المذهب الزيديّ.

عقائدهم قريبة من المعتزلة، وفقههم قريب من الحنفيّة، ويلتقون ببعض عقائدهم مع الإماميّة.



١. **من هو الشهيد زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام؟**
٢. **اذكر ثلاثة من معتقدات المذهب الزيدي.**
٣. **وضّح موقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام من خروج زيد.**
٤. **عدّد ثلاثة ممّن ثاروا بعد زيد بن عليّ عليه السلام.**



استشهاد زيد بن عليّ عليه السلام

وفــي أيامه (أي أيّام هشام بن عبد الملك بن مــروان) استُشهد زيد بن عليّ بــن الحسين بــن عليّ عليهم السلام ، وذلك في سنة إحدى وعشريــن ومائة، وقيل بل في سنــة اثنتين وعشرين ومائة، وقد كان زيد بن علــيّ شَاوَرَ أخاه أبا جعفر بن عليّ بــن الحسيــن بن علــيّ، فأشار عليه بأنّ لا يركــن إلى أهل الكوفــة، إذ كانوا أهل غَــدْر ومَكْر، وقال له: بها قُتل جدُّكَ عليّ، وبها طُعن عمّك الحسن وبها قُتل أبوك الحسيــن وفيها وفي أعمالها شُتمنا أهْل البيــت، وأخبره بما كان عنده من العلم في مدّة ملك بني مروان، وما يتعقّبهم من الدولة العباسيّة، فأبى إلاّ ما عزم عليه مــن المطالبة بالحقّ، فقال لــه: إنّي أخاف عليّك يا أخي أنْ تكون غداً المصلوبَ بَكُنَاسة الكوفة وودَّعة أبو جعفر، وأعلمه أنّهما لا يلتقيان.

وقــد كان زيــد دخل على هشــام بالرُّصَافَة، فلما مَثَلَ بين يديــه لم ير موضعاً يجلس فيه، فجلس حيث انتهى به مجلسه، وقال: يا أمير المؤمنين، ليس أحد يكبر عن تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله، فقال هشام: اسكت لا أمَّ لك، أنت الّذي تُنازعك نفسُكَ في الخلافة، وأنت ابن أمَة، قال: يا أمير المؤمنين، إنّ لك جواباً إنْ أجبتك به، وإنْ أحببت أمسكت عنه، فقال: بل أجبْ، قال: إنّ الأمّهات لا يقعدن بالرجــال عن الغايات، وقد كانت أمّ إسماعيل أمَةً لأمّ إسحاق (صلى الله عليهما وسلم)، فلم يمنعه ذلك أنْ بعثه الله نبيّاً، وجعله للعرب أباً، فأخرج من صُلْبه خير البشر محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم ، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن عليّ، وقام وهو يقول:

شَــــرّدهُ الــخــوف وأزْرَى به كــــذاك مــن يــكــره حــرّ الــجــلاد

منخرق الكفّين يشكو الجوى   تنكثه أطراف مَرْوٍ حِدَاد

قد كان في الموت له راحة   والموت خَتْم في رقاب العباد

إنْ يُحْدِث الله له دولة   يترك آثار العدا كالرماد

فمضى عليها إلى الكوفة وخرج عنها، ومعه القرّاء والأشراف، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي، فلمّا قامت الحرب انهزم أصحاب زيد، وبقي في جماعة يسيرة، فقاتلهم أشدَّ قتال، وهو يقول متمثِّلاً:

ألذّ الحياة وعزّ الممات   وكلاًّ أراه طعاماً وبيلاً

فإنْ كان لا بُدَّ من واحد   فَسِيرِي إلى الموت سيراً جميلاً

وحال المساء بين الفريقين، فراح زِيد مُثْخَناً بالجراح، وقد أصابه سهم في جبهته، فطلبوا من ينزع النصل، فأتي بحجّام من بعض القرى، فاستكتموه أمره، فاستخرج النصل، فمات من ساعته، فدفنوه في ساقية ماء، وجعلوا على قبره التراب والحشيش، وأجرى الماء على ذلك، وحضر الحجَّامُ مواراته فعرف الموضع، فلما أصبح مضى إلى يوسف متنصِّحاً، فدلَّه على موضع قبره، فاستخرجه يوسف، وبعث برأسه إلى هشام، فكتب إليه هشام: أنْ اصلبهُ عرياناً، فصلبه يوسف كذلك، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أميّة يُخَاطب آل أبي طالب وشيعتهم من أبيات:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة   ولم أر مَهْدِيّاً على الجذع يُصلب

وبَنَى تحت خشبته عموداً، ثمّ كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وذَرْوِه في الرياح[1].

(١) مروج الذهب، المسعودي، ج١، ص٤٢٧.



الدرس الثامن

الإسماعيليّة



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى نشأة الإسماعيليّة.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ معتقدات الإسماعيليّة.

٣. أن يُعدِّد أهمَّ شخصيّاتهم.



النشأة والتأسيس

ذكر النوبختي وهو من علماء الشيعة أنّه لمّا توفي أبو عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام افترقت شيعته بعده إلى ستّ فرق - إلى أنْ قال: - وفرقة زعمت أنّ الإمام بعد جعفر بن محمّد، ابنه إسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنّه خاف فغيّبه عنهم، وزعموا أنّ إسماعيل لا يموت حتّى يملك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنّه هو القائم، لأنّ أباه أشار إليه بالإمامة بعده، وقلّدهم ذلك له، وأخبرهم أنّه صاحبه؛ والإمام لا يقول إلّا الحقّ، فلمّا ظهر موته علمنا أنّه قد صدَق، وأنّه القائم، وأنّه لَم يمت، وهذه الفرقة هي «**الإسماعيليّة**» الخالصة.

كان الإمام الصادق عليه السلام حريصاً على إفهام الشيعة بأنّ الإمامة لم تُكتب لإسماعيل، فليس هو من خلفاء الرسول الإثني عشر الّذين كُتبت لهم الخلافة والإمامة بأمر السماء وإبلاغ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن الدواعي الّتي ساعدت على بثّ بذر الشبهة والشكّ في نفوس الشيعة في ذلك اليوم، هو ما اشتُهر من أنّ الإمامة للولد الأكبر. وكان إسماعيل أكبرَ أولاده فكانت أماني الشيعة معقودة عليه حسب الضابطة - صحّت أم لم تصحّ، ولأجل ذلك تركّزت جهود الإمام الصادق عليه السلام على معالجة الوضع واجتثاث جذور تلك الشبهة والتأكيد على أنّ الإمامة لغيره، فتراه تارة ينصُّ على ذلك، بقوله

وكلامــه، وأُخرى بالاستشهاد على موت إسماعيــل، وأنّه قد انتقل إلى رحمة الله، ولن يصلــحَ للقيادة والإمامة. ومن ذلك ما رواه النعماني عن زرارة بن أعين، أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعند يمينه سيّدُ ولده موسى عليه السلام، وقُدّامه مرقــد مُغطّى، فقال لي: «**يــا زرارة، جئني بداود بن كثير الرقّــي، وحمران، وأبي بصــير**». ودخل عليه المفضّل بن عمر، فخرجت فأحضرت مَنْ أمرني بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثرَ واحد، حتّى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً.

فلمّا حشد المجلس قال: «**يا داودُ إكشــف لي عن وجه إســماعيل**»، فكشف عن وجهــه فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا داود أحيٌّ هــو أم ميت؟**» قال داود: يا مولايَ هو ميت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل، حتّى أتى على آخر مَن في المجلس، وانتهــى عليهم بأسرهــم وكلٌّ يقول: هو ميت يا مولاي، فقال: «**اللّهمّ اشــهد**»، ثُمّ أمر بغَسْله وحنوطه، وادراجه في أثوابه.

فلمّا فرغ منه قال للمفضّل: «**يا مفضّل احسر عن وجهه**»، فحسَر عن وجهه، فقال: «**أحيٌّ هو أم ميت؟**» فقال: ميت، قال: «**اللّهمّ اشــهد عليهم**»؛ ثمّ حُمِل إلى قبــره، فلمــا وضع في لَحده قال: «**يا مفضّــل اكشــف عن وجهــه**» وقال للجماعة: «**أحيٌّ هو أم ميت؟**» قلنا له: ميت فقال: «**اللّهمّ اشــهد، واشــهدوا، فإنّه ســيرتاب المبطلــون، يُريــدون إطفــاء نور الله بأفواههم. ثمّ أومأ إلى موســى. والله متمٌّ نــوره ولــو كره المشــركون**»، ثمّ حثونا عليه التراب ثمّ أعــاد علينّا القول، فقال: «**الميّــت، المحنّــط، المكفّن، المدفون في هذا اللّحد من هو؟**» قلنا: إسماعيل، قال: «**اللّهم اشــهد**»، ثمّ أخذ بيد موسى عليه السلام وقال: «**هو حقّ، والحقّ منه، إلى أنْ يرث الله الأَرض ومن عليها**»[1].

(١) الغَيبة، النعماني، ص٣٢٧، الحديث ٨؛ وانظر بحار الأنوار، ج٤٨، ص٢١.

أهمّ معتقداتهم

المعروف أنَّ الإسماعيليّة باطنيّة، حتّى أنَّ كتبهم متستّر عليها ومخفيّة وليست في متناول اليد، ولكنْ نذكر بعض عقائدهم من خلال كتب منسوبة إليهم[1].

١ ـ نفي الصفات عن الله عز وجل

ذهبت الإماميّة إلى نفي زيادة الصفات على الذات فقالت إنّ صفاته عين ذاته، ولكنّ الإسماعيليّة ذهبت إلى نفي الصفات عنه على الإطلاق، واكتفت في مقام معرفته سبحانه بالقول بهويّته وذاته دون وصفه بصفات، حتّى الصّفات الجماليّة والكماليّة.

٢ـ الإنسان مخيّر لا مسيّر

الإنسان مخيّر فيما يعتقد لنفسه، من علومه، وصناعته، ومذاهبه، ومعتقداته، واستدلّوا لذلك بأنّه لولا ذلك لما كانت للنفس منفعة بإرسال الرسل، وقبول العلم، وتلقّي الفوائد والانصياع لأوامر الله تعالى، إذ لو كانت مجبورة لاستغنت عن كلّ شيء تستفيده.

كما استدلّوا بآيات منها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى﴾[2].

٣ ـ الشريعة لها ظاهر وباطن

يقول عليّ بن محمّد الوليد[3]: «إنّ الشارع قد وضع أحكام شريعته وعباداتها من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحجّ وغير ذلك، مضمّنة للأمور العقليّة والأحكام والمعاني الإلهيّة، وما يتخصّص منها من الأمور الظاهرة

(١) انظر: المذاهب الإسلاميّة، السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم ـ إيران، ط١، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٢) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠.
(٣) داعية إسماعيلي يمنيّ، توفّي سنة ٦١٢ هـ.

المشاكلة لظاهر الجسم، والأُمور الباطنة المشاكلة للعقل والنفس، وكلٌّ من حقّق ذلك كانت معتقداته سالمة»[1].

٤ ـ المعاد

المعاد بمعنى عود الإنسان إلى الحياة الجديدة من أُسس الشرائع السماويّة، نعم اختلفوا في كونه جسمانيّاً أو روحانيّاً، والإسماعيليّة، على القول بالمعاد الروحانيّ.

٥ ـ الإمامة

يعتقد الإسماعيليّون أنّ الأرض لا تخلو عن إمام حيٍّ قائم إمّا ظاهر مكشوف أو باطن مستور. ولذا كانت الأئمّة عندهم على نوعين أئمّة الظاهر وأئمّة الباطن.

كما أنّ الإمامة عندهم على درجات خمس وهي :

١ ـ الإمام المقيم.

٢ ـ الإمام الأساس.

٣ ـ الإمام المتمّ.

٤ ـ الإمام المستقر.

٥ ـ الإمام المستودَع.

وربما يُضاف إليها رتبتان: الإمام القائم بالقوّة، والإمام القائم بالحقّ. وهذه الدرجات ظلّت حقبة طويلة من الزمن مجهولة لدى الباحثين إلّا طبقة خاصّة من العلماء، أو لا أقلّ في التقيّة والاستتار والكتمان.

---

(١) الملل والنحل، السبحاني، ج٨، ص ٢٠٨.

١. الإمام المُقيم

هــو الّذي يُقيم الرســولَ الناطـقَ ويُعلّمه ويُربّيــه ويُدرجه فــي مراتب رسالة النطق، ويُنعم عليه بالإمدادات وأحياناً يُطلقون عليه اسم «ربّ الوقت» و«صاحب العصر»، وتُعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها وأكثرها دقّة وسريّة.

٢. الإمام الأساس

هــو الّذي يُرافق الناطق في كافّة مراحل حياته، ويكون ساعده الأيمن، وأمين ســرّه، والقائم بأعمــال الرسالة الكبرى، والمنفّذ للأوامــر العليا، فمنه تتسلسل الأئمّة المستقرّون في الأدوار الزمنيّة، وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنيّة القائمــة على الطبقة الخاصّة ممّــن عرفوا «التأويل» ووصلوا إلــى العلوم الإلهيّة العليا.

٣. الإمام المتمّ

هو الّذي يُتمّ أداء الرسالة في نهاية الدور، والدور كما هو معروف أصلاً يقوم بــه سبعة من الأئمّة، فالإمــام المتمّ يكون سابعاً ومتمّاً لرسالــة الدور، وأنّ قوّته تكــون مُعادلة لقوّة الأئمّة الستّة الّذين سبقوه فــي الدور نفسه بمجموعهم. ومن جهــة ثانيةَ يُطلق عليه اسم ناطق الدور أيضــاً، أي أنّ وجوده يُشبه وجود الناطق بالنسبــة للأدوار. أمّا الإمام الّذي يأتــي بعده فيكون قائماً بدور جديد، ومؤسّساً لبنيان حديث.

٤. الإمام المستقرّ

هــو الّذي يملك صلاحيّة توريــث الإمامة لولده، كما أنّــه صاحب النصّ على الإمــام الّذي يأتــي بعده، ويُسمّونه أيضاً الإمام بجوهــر والمتسلّم شؤون الإمامة بعد الناطق مباشرة، والقائم بأعباء الإمامة أصالة.

٥. الإمام المستودَع

هو الّــذي يتسلّم شؤون الإمامة في الظـروف والأدوار الاستثنائيّة، وهو الّذي يقــوم بمهمّاتها نيابة عن الإمام المستقرّ بنفسـ الصلاحيّات المستقرّة للإمام المستقرّ، ومن الواضح أنّه لا يستطيع أنْ يورِّث الإمامة لأحد من ولده، كما أنّهم يُطلقون عليه (نائب غيبة).

هــذا وتعْتقد الإسماعيليّة أنّ الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ من نسل عليّ وفاطمــة فرض مــن الله سبحانه أكمل به الدين فلا يتــمّ الدِّين إلّا به، ولا يصحّ الإيمــان بالله والرسول إلّا بالإيمــان بالإمام والحجّة، ويــدلّ على فرض الإمامة إجماع الأمّة على أنّ الدين والشريعة لا يقومان ولا يُصانان إلّا بالإمام.

أئمّة الإسماعيليّة

الأئمّة المستورون:

١ ـ الإمام الأوّل: إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام.

٢ ـ الإمام الثاني: محمّد بن إسماعيل (١٣٢ ـ ١٩٣هـ)

٣ ـ الإمام الثالث: عبد الله بن محمّد بن إسماعيل (١٧٩ ـ ٢١٢هـ)

٤ ـ الإمام الرابع: أحمد بن عبد الله (١٩٨ ـ ٢٦٥هـ)

٥ ـ الإمام الخامس: الحسين بن أحمد (٢١٩ ـ ٢٨٩هـ)

الأئمّة الظاهرون:

٦ ـ الإمام السادس: عبيد الله المهدي (٢٦٠ ـ ٣٢٢هـ)

٧ ـ الإمام السابع: القائم بأمر الله (٢٨٠ ـ ٣٣٤هـ)

٨ ـ الإمام الثامن: الإمام المنصور بالله (٣٠٣ ـ ٣٤٦هـ)

٩ ـ الإمـام التاسع: المعزّ لدين الله مؤسّس الدولة الفاطميّة في مصر (٣١٩ ـ ٣٦٥هـ) وهو أوّل خليفة فاطمي ملك مصر وخرج إليها.

١٠ ـ الإمام العاشر: العزيز بالله (٣٤٤ ـ ٣٨٦هـ)

١١ ـ الإمام الحادي عشر: الحاكم بأمر الله (٣٧٥ ـ ٤١١ هـ)

وأمّـا الحاكم بأمـر الله، فمجمل القول فيه أنّه فُقد فـي سنة ٤١١هـ، ولم يُعلم مصيره، وحامت حول كيفيّة اغتياله أساطير.

وبعد اختفائه انشقّت فرقة مـن الإسماعيليّة، وهم الدروز الموجودون في لبنان وسوريا.

١٢ ـ الإمـام الثانـي عشر: عليّ بـن منصور الظاهر لإعـزاز دين الله (٣٩٥ ـ ٤٢٧هـ) بويع بالخلافة وعمره ستّـة عشر عاماً، وشنّ حربـاً على الدروز محاولاً إرجاعهم إلى العقيدة الفاطميّة الإسماعيليّة.

١٣ ـ الإمـام الثالث عشـر: معد بن عليّ المستنصر بالله (٤٢٠ ـ ٤٨٧هـ) بويع بالخلافة وكان له من العمر سبعة أعوام.

وبعد وفاة المستنصر بالله صار هناك انشقاق آخر ـ بعد انشقاق الدروز في المرّة الأولى ـ فانقسمت الإسماعيليّة إلى مستعليّة تقول بإمامة أحمد المستعليّ بن المستنصر بالله، ونزاريّة تقول بإمامة نزار بن المستنصر.

هذا وقد افترقت المستعليّة إلى داووديّة وسليمانيّة، والداعي المطلق للداوديّة اليوم هو طاهر الدين المُقيم في بومباي الهند، أمّا الداعي للسليمانيّة فهو عليّ بن الحسين المُقيم في مقاطعة نجران بالحجاز[1].

وقد افترقت النزاريّة إلى المؤمنيّة والقاسميّة.

(١) الإمامة في الإسلام، عارف تامر، ص١٦٢.

أهمّ شخصيّاتهم

أحمد بن حمدان بن أحمد الورثنياني (أبوحاتم الرازي) (٢٦٠ ـ ٣٢٢هـ).

محمّد بن أحمد النسفي البردغي (النخشبي) (.... ٣٣١هـ).

أبو يعقوب السجستاني(٢٧١ ـ وكان حيّاً عام ٣٦٠هـ).

خلاصة الدرس

الإسماعيليّة هم من الفِرَق الّتي كانت ترى الإمامة بعد الإمام الصادق عليه السلام لابنه إسماعيل.

حرِص الإمام الصادق عليه السلام على إظهار أنّ إسماعيل ليس هو الإمام من بعده وذلك من خلال إعلام الناس بموته وكشفه جنازته لهم.

من الأسباب الّتي أدّت إلى الاعتقاد بأنّ الإمام هو إسماعيل كونه من أكبر أولاد الإمام عليه السلام.

أهمّ معتقداتهم:

١ ـ نفي الصفات عن الله عزَّ وجلَّ.

٢ ـ الإنسان مخيّر لا مسيّر.

٣ ـ الشريعة لها ظاهر وباطن.

٤ ـ الإمامة عندهم على درجات خمس وهي: ١ ـ الإمام المُقيم. ٢ ـ الإمام الأساس. ٣ ـ الإمام المُتمّ. ٤ ـ الإمام المستقرّ. ٥ ـ الإمام المستودَع.

وأمّا أئمّتهم فهم يرون الأئمّة مستورين وظاهرين.

انشقّ الدروز عن الإسماعيليّة بعد فقدان الحاكم بأمر الله.

وجرى انشقاق آخر في الإسماعيليّة بعد موت المستنصر بالله، إلى المستعليّة والنزاريّة، وانشقّت المستعليّة إلى داوديّة وسليمانيّة، والنزاريّة انشقّت إلى المؤمنيّة والقاسميّة.



١. **كيف نشأ المذهب الإسماعيلي؟**
٢. **اذكر ثلاثة من معتقدات المذهب الإسماعيلي.**
٣. **وضّح عقيدة الإسماعيليين في الإمامة ودرجاتها.**
٤. **عدّد ثلاثة من أئمّة المذهب الإسماعيلي.**



كتمان الوثائق:

إنّ استعراض تاريخ الدعوات الباطنيّة السريّة وتنظيماتها رهن الوقوف على وثائقها ومصادرها الّتي تُنير الدرب لاستجلاء كنهها، وكشف حقيقتها وما غمض من رموزها ومصطلحاتها، ولكنّ للأسف الشديد إنّ الإسماعيليّة كتموا وثائقهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم وكلّ شيء يعود لهم ولم يبذلوها لأحد سواهم، فصار البحث عن الإسماعيليّة بطوائفها أمراً مستعصياً، إلّا أنْ يستند الباحث إلى كتب خصومهم وما قيل فيهم، ومن المعلوم أنّ القضاء في حقّ طائفة استناداً إلى كلمات مخالفيهم، خارج عن أدب البحث النزيه.

وهذا ليس شيئاً عجيباً إنّما العجب أنّ المؤرّخين المعاصرين من الإسماعيليّة واجهوا نفس هذه المشكلة منذ زمن طويل، يقول مصطفى غالب وهو من

طليعة كتّاب الإسماعيليّة: «من المشاكل المستعصية الّتي يصعب على المؤرّخ والباحث حلّها وسبر أغوارها، وهو يستعرض تاريخ الدعوات الباطنيّة السريّة، وتنظيماتها، حرص تلك الدعوات الشديد على كتمان وثائقهم ومصادرهم- إلى أنْ يقول:- والمعلومات الّتي نُقدّمها للمهتمّين بالدراسات الإسلاميّة مستقاة من الوثائق والمصادر الإسماعيليّة السريّة»[1].

نعم كانت الدعوة الإسماعيليّة محفوفة بالغموض والأسرار إلى أنْ جاء دور بعض المستشرقين فوقفوا على بعض تلك الوثائق ونشروها، وأوّل من طَرَق هذا الباب المستشرق الروسي الكبير البروفسور «**ايفانوف**» عضو جمعية الدراسات الإسلاميّة في «**بومبايي**» وبعده البروفسور «**لويس ماسينيون**» المستشرق الفرنسي الشهير، ثمّ الدكتور «**شتروطمان**» الألمانيّ عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ، و «**مسيو هانري كوربن**» أستاذ الفلسفة الإسلاميّة في جامعة طهران، والمستشرق الانكليزي «**برنارد لويس**».

يقول المؤرِّخ المعاصر: حتّى سنة ١٩٢٢ ميلاديّة كانت المكتبات في جميع أنحاء العالم فقيرة بالكتب الإسماعيليّة إلى أنْ قام المستشرق الألماني «**ادوارد برون**» بإنشاء مكتبة إسماعيليّة ضخمة غايتها إظهار الآثار العلميّة لطائفة كانت في مقدّمة الطوائف الإسلاميّة في الناحية الفكريّة والفلسفيّة والعلميّة، ولم يقتصر نشاط أولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر، بل تعدّاه إلى الدعاية المنتظمة سواء في المجلّات العلميّة الكبرى، كمجلة المتحف الآسيوية الّتي كانت تُصدرها أكاديميّة العلوم الروسيّة في مدينة «**بطروسبورغ**» ويُشرف على تحريرها «**ايفانوف**» وبعض المستشرقين الروس أمثال «**سامينوف**» وغيره ممن دبّجوا المقالات الطوال عن العقيدة الإسماعيليّة.

ففي سنة ١٩١٨ كتب المستشرق «**سامينوف**» مقاله الأوّل عن الدعوة

(١) تاريخ الدعوة الإسماعيليّة، مصطفى غالب، ص٣٠.

الإسماعيليّـة وقـد جمعه بنفسه ونشره فـي مجلّته كما نقل إلـى اللغة الإنكليزيّة عدداً ضخماً من الكتب الإسماعيليّة المؤلّفة باللّغتين «**الكجراتية**» و«**الأوردية**»- إلـى أنّ قـال:- لقد أحدثت تلك الدراسـات الهامّة ثورة فكريّـة وانقلاباً عكسيّاً فـي العالـم الإسلامي، حيـث قام عدد مـن الأسـاتـذة المصريين بنشـر الآثار الإسماعيليّة في العهود الفاطميّة، فأخرجوا إلى حيّز الوجود عدداً لا بأس به من الكتب القيّمة وأظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة.

وبالرغم ممّا ذكره المـؤرّخ المعاصر من أنّ المصريين أظهروا للعالم أجمع آثـار هذه الفرقـة، لكنّا نرى أنّه يعتمـد في كتابه على وثائـق خطيّة موجودة في مكتبتـه الخاصّة، أومكتبة دعاة مذهبه في سورية، ويكشف هذا عن وجود لفيف من المصادر مخبوءة لم تر النور لحدّ الآن[١].

(١) الملل والنحل، السبحاني، ج٨، ص ١٣ ـ ١٤.



الدرس التاسع

الدروز



أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى نشأة الدروز.

٢. أن يُعدِّد أهمَّ معتقدات الدروز.

٣. أن يُعدِّد أهمَّ شخصيّاتهم.







التستُّر في عقيدة الدروز

الــدروز فرقة باطنيّة متستّرة على معتقداتها حتّى عن معظم أتباعها، ويرجع ذلك كما يقول بعض مؤلّفيهم إلى الاضطهاد والخوف التاريخي الّذي وقعوا تحت تأثيره، بدءاً من انشقاقهم عن الإسماعيليّة بعد موت الحاكم بأمر الله واستلام ابنه الإمامة وهو الظاهر لدين الله، حيث نكّل بهم أشدّ تنكيل[١].

هــذه التقيّة والتستُّر المبالــغ فيه أضرّ بهذه الفرقــة وبأتباعها، حيث جمدت عقيدتهم (على بعض أقوال لا تمتُّ إلى التوحيد بصلة)، وحرمت غالبيّة الدروز من معرفة حقائق مذهبهم. كما أدّى التستُّر إلى الانتقاد والاتهام من مخالفيهم كمــا ورد فــي الموسوعة الإسلاميّــة: «**إنّ الــدروز قليلو الديــن، يزعمــون أنّهم مســلمون ولا يصلّون، ويقولون بتقمّص الأرواح في الكلاب، ويسمحون بزواج الأخوات أحياناً**».

ومثله قول الموسوعة الإنكليزيّة: «**إنّ الدروز يعتقدون بتقمّص أرواح الأشرار منهم في الكلاب والجمال**» حتّى أنّ البعض اتهمهم بعبادة العجل![٢]

وقــد اعترف بعضــ مؤلّفيهم بوجود شواذ في كتبهم يقــول نجيب العسراوي: «**نُحــبُّ أنْ نُعلن شــكرنا لتلــك الفئة الدرزيّــة الكريمة الّتــي حافظت وتُحافظ**

---

(١) انظر: المذهب التوحيدي الدرزي، العسراوي، نجيب، ط٢، ١٩٩٠، ص٥٩.

(٢) م.ن، ص ٨ ـ ٩.

دائماً على كتمان كتبنا الدينيّة؛ لأنّ بإعلانها ضرراً وعيباً أدبيّاً واجتماعيّاً، وإساءة شاملة للعشيرة. لأنّ في كتب المذهب أشياء لا يصحُّ أنْ يعرفها الغير لما فيها من التحامل والتهكّم على الأديان... ولما فيها من الشواذ العقليّ، والغلوّ بالإنسان ذاك الّذي ينقض التوحيد...»[١].

الحدود والإصلاح

عَمِل الحدودُ الخمسة ـ وهم علماء دروز ـ على تنقية تحريفات وشواذ الكتب الدرزيّة، وهم:

١ ـ كبير الحدود حمزة بن عليّ بن أحمد الزوزني، ولد سنة ٣٧٥هـ، وكان مختلفاً مع نشتكين الدرزي[٢] الّذي خالف دعوة التوحيد.

٢ ـ أبو إبراهيم إسماعيل بن محمّد بن حامد التميميّ.

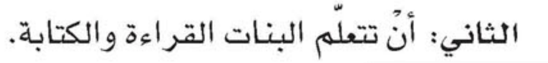
٣ ـ أبو عبد الله محمّد بن وهب القرشيّ.

٤ ـ أبو الخير سلامة بن عبد الوهّاب السامريّ.

٥ ـ أبو الحسن عليّ بن أحمد السّموقيّ[٣].

ولكنْ بقيت رسائل الدروز على ما فيها من التحريف والإضافات غير التوحيديّة حتّى زمن عبد الله التّنوخي[٤]، فاكتشف التحريف ونادى بحذفه إجابة لأوامر الحدود الخمسة، فقامت عليه قيامة العامّة، فهاجر إلى سوريا إثني عشر عاماً، إلى أنْ تمّ الاتفاق على عودته بشرطين.

الأوّل: أنْ يتعلّم الجميع القرآن ويحفظوه.



الثاني: أنْ تتعلّم البنات القراءة والكتابة.

(١) م. س، ص١٢.

(٢) يُتهم نشتكين الدرزي أنّه هو الّذي قام بتحريف كتب المذهب، بالإضافة إلى سُكين والبرذعي، انظر: م. ن، ص ٧٦ و١٠١ و١١٤.

(٣) انظر: م.ن، ص٦٦ ـ ٦٨.

(٤) ولد سنة ٨٢٠هـ وتوفي ٨٨٤.

حتّـى جـاء الأمير شكيب أرسـلان[١] فنظر التحريف الّـذي ينقض التوحيد، وأراد إصلاحه جملة، فعرض على الدروز إعادة المذهب إلى إسلاميّته التوحيديّة فرفضـوا فتركهـم، وغيره من المتعلّمين الـدروز أدركوا التحريـف وسكتوا عنه خشيةً من اللوم أو عدم مبالاة[٢].

من عقائدهم الظاهرة

ونحن هنا ذاكرون لكم بعض اعتقاداتهم الظاهرة من خلال أحد كتّابهم وهو أمين طليع، حيث قدّم لكتابه شيخ عقل الدروز في حينه محمّد أبو شقرا[٣]:

١ ـ جوهر الدين

جوهـر الديـن هو، أنْ يكون الإنسـان ذا ضمير نقيّ، من العبـث والحرام، أنْ يُقدّم القرابين ويتلو الصلاة وهو غارق في الإثم...

٢ ـ اللّه

اللّه خالق كلِّ شيء، لا شريك له... جلّ ذكره عن وصف الواصفين، لا يُدرَك، رحيم شفوق.

للمعبـود لاهـوت وناسوت. أمّـا الحقيقة اللاهوتيّـة فهي لا تُـدرك بالحواس والقياس. أي أنّ لاهوت المعبود ليس له مكان ولا يخلو منه مكان.

أمّـا الناسوت فهو في العقيـدة أنّ المعبود يتّخذ له من حين إلى آخر مقامات ناسوتيّة لتذكير مخلوقاته بوجوب طاعته، ثُمّ تجلّى ناسوته في كلِّ دور من الأدوار فيضـاً من نوره الإلهي، لتكون له على المخلوقـات الحجّة، وانبعث هذا النور في أنبيائه، وفيمن أكملوا الرسالة من الأئمّة المعصومين[٤].

(١) ولد سنة ١٨٦٩م ـ وتوفي سنة ١٩٤٦.

(٢) انظر: م. ن، ص ١١١- ١١٢.

(٣) انظر: طليع، أمين، أصل الموحدين الدروز وأصولهم، معرض الشوف الدائم، ط٢، ٢٠٠١.

(٤) المراد أئمّة الدروز الّذين يعتقدون بهم.

٣ ـ الأنبياء

إنّ الله أنطق بالحقّ والهدى آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد. فجاء كلٌّ منهم بتعاليمه ودينه متمّماً للآخر، إذ إنّ الأديان تتعاقب وتتطوّر ويُكمل بعضها الآخر، فيؤيّد ما سبقه.

٤ ـ العقل

بأمر الله خُلق العقل، فكان أوّل من ظهر من أمره، وهو جوهر بسيط روحانيّ.

٥ ـ التناسخ والتقمّص

اعتقد قدماء المصريّين بالنسخ والفسخ والرسخ، أي أنّ النفس الصالحة تنتقل من جسم بشريّ بعد موته، إلى جسم بشريّ آخر وهذا ما يُسمّى بالنسخ أو التناسخ. أمّا النفس الأقلّ صلاحاً فإنّها تنفسخ عن جسم إنسان لتحلّ في جسم حيوان وهذا ما يُسمّى بالفسخ، أمّا النفس الشرّيرة فإنّها تنتقل إلى جماد فترسخ فيه وتموت وهذا ما يُسمّى بالرسخ.

غير أنّ الفلسفة الهنديّة أنكرت الرسخ، أمّا الدروز فإنّهم لا يأخذون إلّا بالنسخ فقط. ومرجع ذلك اعتقادهم أنّ النفس لا تموت، بل يموت الجسم فقط. ولا تنتقل إلى حيوان، لأنّ انتقالها إلى جسم حيوان ظلمٌ لها، لأنّ العقاب مرجأ إلى يوم الدين، فإذا رجحت حسناتها كان لها الثواب وإذا رجحت سيئاتها كان لها العقاب.

٦ ـ في التخيير والإجبار

الإنسان مسيَّر ومخيَّر في آن واحد، فهو مخيَّر فيما يحدّه عقله ويصل إليه ادراكه، ومسيَّر في الأمور الّتي لا قِبَل له بها إذ لا يحدّها العقل ولا يصل إليها الإدراك.

فالأجل مكتوب والمقدّر كائن لا يُمحى، ولا مهرب منه ولا مناص.

٧ ـ في الزواج

تعدُّد الزوجات ممنوع.

٨ ـ الطلاق

إذا طلّــق الزوج دون أسبــاب موجبة فلزوجته نصف ما يملــك، أمّا إذا كانت المرأة هي المسبِّبة للطلاق فله نصف ما تملك.

وإذا طلّق لا يجوز الزواج منها مرّةً ثانية.

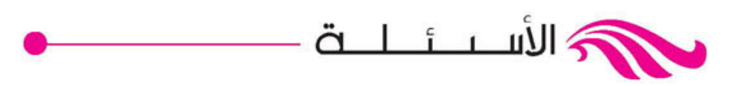
خلاصة الدرس

الــدروز فرقة باطنيّة متستّــرة على معتقداتها حتّى عن معظــم أتباعها، ممّا أدّى إلى انتقادهم واتهامهم من الغير.

عَمِل الحدود الخمسة على تنقية تحريفات وشواذ الكتب الدرزية.

وحاول عبد الله التنوخي وغيره من متعلّمي الدروز الإصلاح.

حسب الظاهر من بعض كتّابهم أنّهم: يؤمنون بالله الواحد والأنبياء إلّا أنّهم يؤمنون بالتناسخ والتقمُّص.



١. من هو مؤسّس مذهب الدروز؟

٢. اذكر ثلاثة من معتقدات المذهب الدرزي.

٣. وضّح عقيدة الدروز في التناسخ والتقمص.

٤. عدّد ثلاثة من شخصيّات المذهب الدرزي.



بعض ما قيل في الدروز

في دائرة المعارف البستانيّة:

«إيمان الدروز، أنّ الله واحد، أحد، لا بداءة له ولا نهاية، وأنّ النفوس مخلّدة تتقمّص بالأجساد البشريّة (التناسخ) ولا بدّ لها من ثواب وعقاب يوم المعاد بحسب أفعالها، وأنّ الدنيا تكوّنت بقوله تعالى كوني فكانت، والأعمار مقدّرة بقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها﴾، وأنّ الله عارف بكلّ شيء، وهم يكرمون الأنبياء المذكورين في الكتب المنزلة، ويؤمنون بالسيّد المسيح ولكنّهم ينفون عنه الإلوهيّة والصلب، وأسماء بعض الأنبياء عندهم كأسمائهم في تلك الكتب، ولبعضهم أسماء أُخرى كالقدّيس جرجس، فإنّه عندهم الخضر، وأسماء أنبيائهم شعيب وسليمان وسلمان الفارسي ولقمان ويحيى، وعندهم انّه لابُدّ من العرض والحساب يوم الحشر والنشر.

وتنقسم هذه الطائفة إلى: عقّال وجهّال. فالعقّال هم عمدة الطائفة، ولهم رئيسان دينيّان يُسمّيان بشيخي العقّال، والأحكام الدينيّة مفوّضة إليهم.

وعندهم للوصيّة نفوذ تام، فإنّ الإنسان مختار أنْ يوصي قبل موته بأملاكه لمن يشاء، قريباً كان أم غريباً.

وقد أمر عقّالهم بتجنّب الشكّ، والشرك، والكذب، والقتل، والفسق، والزنى، والسرقة، والكبرياء، والرياء، والغشّ، والغضب، والحقد، والنميمة، والفساد، والخبث، والحسد، وشرب الخمور، والطمع، والغيبة، وجميع الشهوات والمحرّمات والشبهات، ورفض كلّ منكر من المآكل والمشارب، ومجانبة التدخين، والهزل والمساخر والهزء والمضحكات، وجميع الأفعال المغايرة لإرادته تعالى، وترك الحلف بالله صدقاً أو كذباً، والسبّ، و القذف، والدعاء بما فيه ضرر الناس.

وعندهم أنّه على كلّ مؤمن التحلّي بالعفاف، و الطهارة، والفعل الجميل، والكرم بالعلم، والمال، وخوف الله وطاعته، والرصانة، وصيانة العرض، وصدق اللسان، وصونه من الإفك والإثمّ والزور والبهتان مع استمرار ذكر الله وتسبيحه وتقديمه، وتقديم الصلوات والتضرّعات والتوسّلات لعزّته تعالى.

ولا يجوز لعاقل أنْ يخلو بامرأة، ولا أنْ يردّ تحيّتها ما لم يكن بينهما ثالث.

وشأنهم التهذيب وكره الزيف والتّرف. وكلّ عاقل ارتكب القتل أو الزنى أو السرقة أو غيرها من الآثام يُطرد من مجلس العقّال الّذين يجلسون فيه للقيام بالفروض الدينيّة ويبقى مطروداً إلى أنْ تتحقّق ندامته وتوبته.

ومن شأن الدروز إكرام الضيف، و الشجاعة، والاقتصاد بالمعيشة[1].

وقد تناولت دائرة المعارف الإسلاميّة ما قيل في اعتقادهم بإلوهيّة الحاكم، ما هذا نصّه:

وقد قام مذهب الدروز على فكرة أنّ الله قد تجسّد في الإنسان في جميع الأزمان وهم يتصوّرون أنّ الله ذاته أو على الأقل القوّة الخالقة تتكوّن من مبادئ متكثّرة يصدر الواحد منها عن الآخر ويتجسّد مبدأ من هذه المبادئ في الإنسان.

فالخليفة الحاكم وفقاً لهذه العقيدة يُمثّل الله في وحدانيّته وهذا هو السبب

(١) دائرة المعارف، البستاني، ج٧، ص ٦٧٥- ٦٧٧.

في أنّ حمـزة قد أطلق على مذهبه اسم مذهب «**التوحيد**» وهم يعبدون الحاكم ويسمّونه «**ربّنا**» ويفسّرون متناقضاته وقسوته تفسيراً رمزيّاً، فهو آخر من تجسّد فيهـم الله. وهم يُنكرون وفاته ويقولون إنّـه إنّما استتر وسيظهر في يوم ما وفقاً للعقيدة المهدويّة[١].





(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٩، ص ٢١٧- ٢١٨. الملل والنحل، جعفر السبحاني، ج٨، ص: ٢٤٥ و٢٤٩.



الدرس العاشر

العلويّون



أهداف الدرس

١. أنْ يتعرّف الطالب إلى نشأة العلويّين.

٢. أنْ يُعدِّد أهمَّ معتقدات العلويّين.

٣. أن يُعدِّد أهمَّ شخصيّاتهم.







النشأة والتأسيس

يُطلق على العلويّين تسمية النصيريّة، وقد ادّعى بعضهم أنّ السبب في هذه النسبة هو كونهم من الفرقة الّتي أحدثها محمّد بن نصير النميريّ وهو من أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وقد ادّعى الوكالة عن الحجّة المُنتظَر ثُمّ ادّعى أنّه رسول ونبيٌّ من قبل الله. ويُرجع بعضٌ سبب التسمية إلى أنّه لمّا فُتحت جهات بعلبكّ وحمص استمدّ أبو عبيدة الجرّاح نجدة، فأتاه من العراق خالد بن الوليد، ومن مصر عمرو بن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من أتباع عليّ عليه السلام وهم ممّن حضروا بيعة غدير خم، وهم من الأنصار، وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين، فسُمّيت هذه القوّة الصغيرة، نصيريّة، إذ كان من قواعد الجهاد تمليك الأرض الّتي يفتحها الجيش لذلك الجيش نفسه، فقد سُمّيت الأراضي الّتي امتلكها جماعة النصيريّة: جبل النصيريّة، وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانيّة المعروف الآن ثُمّ أصبح هذا الاسم علماً خاصّاً لكلّ جبال العلويّين من جبل لبنان إلى أنطاكية[1].

أهمّ عقائدهم

يتّفق العلويّون مع الشيعة في أصول الإسلام الخمسة وهي التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

(١) انظر: المذاهب الإسلامية، السبحاني، ص ٣٤٩، نقلاً عن: تاريخ العلويين، محمّد أمين غالب الطويل، ص٨٧، ٨٨.

عقيدة المسلمين العلويّين في الجبر والاختيار هي طبق ما جاء عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ينفي الجبر والإهمال، وقد منح الله العباد القوّة على أفعالهم وأوكلهم فيها إلى نفوسهم فعلاً وتركاً بعد الوعد والوعيد، قال عليه السلام في نهج البلاغة: «**إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً ولم يُكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعصَ مغلوباً ولم يُطع مُكرَهاً، ولم يُرسل الأنبياء لعباً ولم يُنزل الكتاب عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**[1] [2].

وقد نسب مناوئوهم عقائد وآراء شتّى إليهم نُشير في ما يلي إلى بعضها:

١ ـ الاعتقاد بالحلول والغلوّ في حقّ الأئمّة سيّما الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام [3].

٢ ـ التناسخ[4].

٣ ـ نبوّة النميريّ محمّد بن نصير.

٤ ـ شراكة الإمام عليّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نبوّته.

٥ ـ عبادة السماء والشمس والقمر على تقاليد الفينيقيّين والاعتقاد بوجود الأئمّة عليهم السلام فيها.

ويُمكن القول: أنّ هناك أقلاماً مُغرضة حاولت أنْ تنسب العلويّين إلى فرقة النصيريّة البائدة اعتماداً على أمور يُنكرها العلويّون اليوم قاطبة.

فحسب المصادر المطّلعة على حالهم، فإنّ عقائد العلويّين لا تختلف عن

(١) العلويون والتشيع، عليّ عزيز الإبراهيم، ص ٧٦ ـ ٨٣.
(٢) سورة ص، الآية: ٢٧.
(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ج٢، ص ٢٥ ، ٢٦.
(٤) فرق الشيعة، النوبختي، ص ٩٢ ـ ٩٤.

عقائد الشيعة الإماميّة، وهي معروفة مسجَّلة، وتتلخّص في التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد[1].

قضيّة ألوهيّة عليّ عليه السلام

أُمُّ الاتهامات ضدّهم هي تهمة الغلوّ وتأليه الإمام عليّ عليه السلام حيث يُكرِّره المؤلِّفون من قديم وجديد.

ورميهم بالغلوّ والتطرّف كان ردّ فعل من مناوئيهم حيث كان يرميهم هؤُلاء بالتقصير في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أو عدم الإيمان بفضائله وأفضليّته من سائر الصحابة.

عقيدتهم في الإمامة

يرى العلويّون أنّ الأئمّة عليهم السلام هم أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولمّا كان الأئمّة عليهم السلام يُحصون علوم الأوّلين والآخرين كان لا بُدّ لهم من باب، ولذلك اتبعوا الأثر فاتخذوا باباً لكلٍّ منهم، والأبواب هم:

١ ـ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة العلم الّتي هي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وبابه سلمان الفارسيّ.

٢ ـ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بابه قيس بن ورقة المعروف بالسفينة.

٣ ـ الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بابه رشيد الهجريّ.

٤ ـ الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام بابه عبد الله الغالب الكابلي.

٥ ـ الإمام محمّد الباقر عليه السلام بابه يحيى بن معمّر بن أُمّ الطويل الشمالي.

٦ ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام بابه جابر بن يزيد الجعفي.

٧ ـ الإمام موسى الكاظم عليه السلام بابه محمّد بن أبي زينب الكاهلي.

(١) انظر: المذاهب الإسلامية، السبحاني، ص٣٤٩ ـ ٣٥٠.

٨ ـ الإمام عليّ الرضى عليه السلام بابه المفضّل بن عمر.

٩ ـ الإمام محمّد الجواد عليه السلام بابه محمّد بن مفضّل بن عمر.

١٠ ـ الإمام عليّ الهادي عليه السلام بابه عمر بن الفرات ، المشهور بالكاتب.

١١ ـ الإمام حسن العسكريّ عليه السلام بابه أبو شعيب محمّد بن نصير النميري.

١٢ ـ الإمام الحجّة محمّد المهديّ عجل الله فرجه لم يكن له باب[١].

أهمّ شخصيّاتهم

١ ـ إسحاق الأحمر (.... ـ ٢٨٦هـ)

٢ ـ المنتجب العاني(٣٣٠ ـ ٤٠٠هـ)

٣ ـ الحسين بن حمدان الخصيبي (٢٦٠ ـ ٣٥٨هـ) وهو من أعظم رجالات العلويّين وعلمائهم، وفي أعيان الشيعة للعلاّمة السيد محسن الأمين العاملي ترجمة للخصيبي مفادها: امتداحه والثناء عليه وكلّ ما نُسب إليه من معاصريه وغيرهم لا أصل له ولا صحّة، وإنّما كان طاهر السريرة والجيب وصحيح العقيدة.

ولـه كتاب معروف ومطبـوع حديثاً هو كتاب الهداية الكبـرى ذكر فيه أسماء الأئمّة عليهم السلام بالترتيب المتقدِّم مع التعرّض للأبواب إليهم.

٤ ـ الميمون الطبراني (٣٥٨ ـ ٤٢٦هـ)

سرور بـن القاسم الطبراني، أبو سعيد، الملقّـب بالميمون شيخ العلويّين في اللاذقيّة، ورئيس الطريقـة المعروفة عندهم بالجنبلانيّة، ولد في طبريّا وإليها نسبته، وانتقل إلى حلب فتفقّه بفقه العلويّين[٢].

(١) انظر: الملل والنحل، السبحاني، ج٨، ص٤١٣.

(٢) انظر: الملل والنحل، السبحاني، ج٨، ص٤١٧ ـ ٤٢١.

خلاصة الدرس

العلويّـون وهـم الّذين يُطلق عليهـم تسميـة النصيريّة نسبة إلـى جبل كانوا يُقيمون فيه.

نسب المخالفون للعلويّة العديد من الآراء نحو:

١ ـ الاعتقاد بالحلول والغلوّ في حقّ الأئمّة سيّما الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

٢ ـ التناسخ .

٣ ـ نبوّة النميري محمّد بن نصير.

٤ ـ شراكة الإمام عليّ عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نبوّته.

يعتقد العلويّون بوجود أبواب لدى الأئمّة عليهم السلام منها تؤخذ معالم الدين.

أهمُّ شخصيّاتهم

١ ـ إسحاق الأحمر.

٢ ـ المنتجب العاني.

٣ ـ الحسين بن حمدان الخصيبي.

٤ ـ الميمون الطبراني.



١. من هو مؤسّس المذهب العلويّ؟

٢. اذكر ثلاثة من معتقدات المذهب العلويّ.

٣. وضّح عقيدة العلويّين في ألوهيّة عليّ عليه السلام.

٤. عدّد ثلاثة من شخصيّات المذهب العلويّ.



العلويّون على لسان أحد كتّابهم

يقول أحد كتّاب العلويّة وهو الشيخ عبد الرحمان الخير يتحدّث عن عقيدتهم في أصول الدين وفروعه:

أُصول الدين خمسة، وهي:

التوحيد و العدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

التوحيد: نعتقد بوجود إله واحد خالق للعالم المرئي وغير المرئي، لا شريك له في الملك متّصف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص والمحال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

العدل: نعتقد بأنّ الله تعالى عادل منزّه عن الظلم، وعن فعل القبيح والعبث، لا يُكلّف البشر غير ما هو في وسعهم وطاقتهم ولا يأمرهم إلّابما فيه صلاحهم ولا ينهاهم إلّاعمّا فيه فسادهم ولو جهل كثير من العباد وجه الصلاح والفساد في أمره ونهيه سبحانه.

النبوّة: نعتقد بأنّ الله سبحانه يصطفي من خيرة عباده الصالحين رسلاً

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

لإبلاغ رسالاته إلى الناس، ليُرشدهم إلى ما فيه صلاحهم ويحذّروهم عمّا فيه فسادهم في الدنيا والآخرة.

ونعتقد بأنّ الأنبياء كثيرون، ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبيّاً ورسولاً، أوّلهم سيّدنا آدم عليه السلام وآخرهم سيّدنا محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته هي آخر الشرائع الإلهيّة وأكملها، ونعتقد بأنّها صالحة لكلّ زمان ومكان.

ونعتقد بعصمة جميع الأنبياء من السهو والنسيان، وارتكاب الذنوب عمداً وخطأً قبل البعثة، وبعدها، وأنّهم منزّهون عن جميع العيوب والنقائص، وأنّهم أكمل أهل زمانهم وأفضلهم وأجمعهم للصفات الحميدة، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الإمامة: نعتقد بأنّ الإمامة منصب تقتضيه الحكمة الإلهيّة لمصلحة البشر في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة الإلهيّة، وفي القيام بعدهم بالمحافظة على تطبيق أحكامها بين الناس وبصون التشريع من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة.

ولذلك نعتقد اقتضاء اللطف الإلهي بأنْ يكون الإمام مُعيَّناً بنصٍّ إلهي وأنْ يكون معصوماً مثل النبيّ سواء بسواء ليطمئنّ المؤمنون إلى الاقتداء به في جميع أعماله وأقواله.

ونعتقد بأنّ الإمام بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم هو سيدنا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده ابناه الحسن والحسين، ثمّ تسعة من ذريّة الحسين عليه السلام، آخرهم المهدي عجل الله فرجه، وعجّل به فرج المؤمنين.

المعاد: نعتقد بأنّ الله سبحانه يُعيد الناس بعد الموت للحساب، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

كما ونؤمن بكلِّ ما جاء في القرآن الكريم، وبما حدّث به النبيّ ﷺ من أخبار يوم البعث و النشور والجنّة والنار والعذاب والنعيم والصراط والميزان وغير ذلك ممّا أثبته كتاب الله وحديث رسوله الصحيح.

وأمّا فروع الدين: فكثيرة أهمّها الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والجهاد[١].



(١) عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين العلويّين، عبد الله الخير، ص٢٠- ٢٣، نقل بتلخيص المصدر: الملل والنحل، السبحاني، ج٨، ص: ٤٠٧-٤٠٨.